

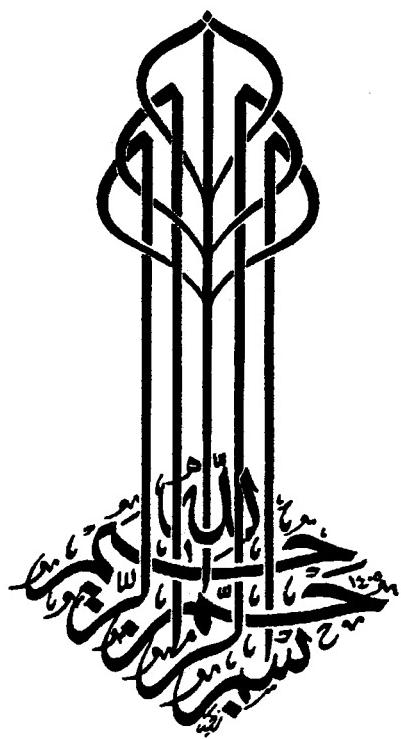
أَعُلَّمُ اللَّهَ أَعْلَمُ بِشَرَعِ الْكِتابِ "فَضْلُهُ الْأَسْلَمُ"

للإمام المحدث شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
(١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ)

قرّاظ له فضيلة معاشر الشيخ الدكتور
حنان بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

إِغْدَاقُ
حنان بنت علي بن محمد البهاني
ماجستير كتاب وسنة
ميهن جامعات أم القرى بكلية التربية
ومعهد بحث وخدمة التربية الإسلامية
بمتحف الطائف

مكتبة الأسد



لِعِلَّهُمْ الَّذِنَّ
يُشَعِّرُكُمْ بِـ "فَضْلِهِمُ الْإِسْلَامِ"

ح مكتبة الأسدى ، ١٤٢٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية لكتائـل التشرـ

محمد بن عبدالوهاب بن سليمان

إعلم الأنـمـ شـرـحـ كـتـابـ قـضـلـ الإـسـلامـ / محمد بن عبدالوهاب بن سليمان ، حنان على محمد البـيـانـيـ - مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ ، ١٤٢٧ـ

صـ ٢٥٠ ، . . . سـمـ

رـنـمـكـ : ٩٩٦٠-٥٢-٦٨٦٠

١ - الأخـلـقـ الإـسـلامـيـةـ ٢ - الفـضـائلـ الإـسـلامـيـةـ

أـ . البـيـانـيـ ، حـنـانـ عـلـيـ مـحـمـدـ (ـمـشـرـفـ)ـ بـ . العـنـوانـ

١٤٢٧/٢٣٠٨

دـيـوـيـ ٢١٢٠٢

رـقـمـ الـإـيـادـاعـ : ١٤٢٧/٢٣٠٨

رـنـمـكـ : ٩٩٦٠-٥٢-٦٨٦٠

جـمـيـعـ الـحـقـوقـ مـحـفـوظـةـ

الـطـبـعـةـ الـأـوـلـىـ

ـ جـ ٦ - ١٤٢٧ـ

مـكـتـبـةـ الـأـسـدـىـ لـلـنـشـرـ وـ الـتـوزـعـ



مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ - العـزـيزـيـةـ - مـدخلـ جـامـعـةـ لـلـقـرـىـ تـ - ٥٥٧٠٥٠٦ـ فـلـكـسـ - ٥٥٧٥٢٤١ـ

فرـعـ العـزـيزـيـةـ الشـارـعـ الـلـعـمـ تـ - ٥٢٧٣٠٣٧ـ صـ . بـ ٢٠٨٣ـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

قد تضفت هذا الكتاب : (إعلام الأئم بشرح كتاب فضل الإسلام)
لبرمام المجدد شيخ الأئم محدث عصبة أصحاب رحمه الله .
فوجهت هذه ترجمة هذا الكتاب بأسلوب بسيط ومحض شهاد
خزي الله كما أنتجه منها المزاي . ولصومه بالنشر والتداول
للإنتفادة منه . وحصل على تحريره من بنينا محمد والد صبحه

كتبه

صالح بن موزا بن العفران
عنوانه كتب العلامة

صالح بن موزا



تَقْرِيْبًا

قد تصفحت هذا الكتاب : (إعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام) للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .
فوجدت فيه توضيحاً لهذا الكتاب بأسلوب جيد ، وعرض
شيق ، فجزى الله كاتبته خير الجزاء . وهو جدير بالنشر والتداول
للاستفادة منه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه .

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

مفتاح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وننحوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يُضللاً فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد :

فإنه أمر عظيم أن يتلزم المرء بالإسلام، ويُجاهد نفسه في أن يكون على حقيقة الإسلام، ولن يكون ذلك إلا بالعلم النافع الذي به صلاح القلب والعمل، ولهذا قال تعالى : «**قُلْ هَذِهِ مَسِيْلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**» [يوسف: ١٠٨]، ومعنى : «**عَلَى بَصِيرَةٍ**» على علم؛ لأن البصيرة للقلب هي العلم الذي يبصر به حقائق المعلومات ويدرك الصواب فيها. ولهذا لم يأمر الله عليه السلام نبيه عليه السلام وأمته من بعده أن يزدادوا من شيء إلا من العلم، فقال تعالى : «**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**» [طه: ١١٤].

وقد رفع الله تعالى أهل العلم على سائر المؤمنين فقال تعالى:

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَمِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١]. فكل صاحب علم صحيح من أهل الإيمان فإنه مرفوع على غيره درجات، وهذا من فضل الله جل وعلا على أهل العلم.

وطالب العلم إذا سلك هذا الطريق فإن الله يسهل له طريقاً إلى الجنة، كما قال ﷺ: (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) [صحيح مسلم: ٢٦٩٩]، وذلك أن طريق الجنة يكون بصحبة الاعتقاد، ويكون بصحبة العمل. وصحبة الاعتقاد لا تكون إلا بعلم، وصحبة العمل لا تكون إلا بعلم، ف(من سلك طريقاً يلتمس فيه علمًا) من علم التوحيد، أو علم الفقه والحلال والحرام (سهل الله له به طريقاً إلى الجنة).

فعلى كل مسلم أدرك وفهم هذه النصوص وغيرها في فضل العلم وطلبه، وفضل العلماء، أن يقبل إقبالاً شديداً على العلم في حفظه وتدارسه، فالعلم لا يرغب فيه إلا مؤمن صحيح الإيمان، ولا يرغب عنه إلا مفرط، وكل من جاهد نفسه في العلم فإنما يجاهد نفسه

في صلاح قلبه، وصلاح عمله.

ويذكر الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - ما آل إليه حال
كثير من الناس من إساءة الظن بالعلم فقال: (وفي هذا الزمان رأينا
ترون أن كثريين أساءوا الظن بالعلم من جهة، بل من جهات:
- أساءوا ظناً بالعلم في ظن بعضهم أن العلم لا فائدة مرجوة منه
بقدر ما يبذل فيه البذل).

- ومنهم من أساء الظن بالعلم في أنه إذا تعلم فإما سيكون في
 نهايته مثل غيره، ولن يكون من الأثر شيء الكبير الذي
 يوازي تعبيه في العلم.

- ومنهم من أساء الظن في العلم بأن الأهم هو الدعوة للناس
 والإرشاد والبذل ونحو ذلك، والعلم ليس في الأثر كأثر
 النشاط والدعوة ونحو ذلك.

- ومنهم من أساء ظناً بالعلم في أن العلم لن يكون لأصحابه
 شأن، وأن الشأن يكون لغيرهم، إما من أهل الدنيا، وإما من
 أهل الاتجاهات المختلفة في هذه الحياة.

وهذه الأشياء جميعاً من سوء الظن بالشريعة؛ لأن العلم هو

الشريعة، والواجب على طالب العلم أن يحسن ظنه بالله جل وعلا وأن يحسن ظنه في عمله بالعلم، وأن يحسن ظنه بالعلم والعمل جمِيعاً، وأن يقبل على ذلك). اهـ. [من شريط (شرح كتاب فضل الإسلام)]. وقد ذكر أهل العلم أن من أسباب ضلال الضالين من هذه الأمة أنهم ضلوا؛ لأنهم لم يكونوا على علم صحيح. فالعلم الصحيح سبب من أسباب الوقاية من الفتنة، والوقاية من أسباب الضلال والانحراف.

ولأهمية العلم وفضله وثمرته بالنسبة لكل داعية إلى الله تعالى اختارت وحدة التربية الإسلامية بمحافظة الطائف أن يدرس كتاب «فضل الإسلام» للشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام الجدد لهذه الأمة أمر دينها، وذلك عبر اللقاءات الشهرية مع مشرفات المصليات لهذا العام ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ؛ لما يتضمنه هذا الكتاب من بيان لفضل الإسلام، ووسطيته ومحاربته للبدع والمخالفات... إلى غير ذلك من المسائل المهمة، فهو يُعد - بحق - كتاب منهجي يحتاج إليه الدعاة لتصحيف منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى.

ونظراً لأن هذا الكتاب لم يشرح في كتاب مطبوع، فقد اعتمدت

في ضبط نصه على نسخة كتاب «فضل الإسلام» الموجودة في «مجموع مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» حيث قوبلت على ثلاث نسخ خطية، كما جاء بيان ذلك في المجموع الذي طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وضبطت ألفاظ نصوص الأحاديث والآثار من مصادرها، ووضعت ما خالف المجموع بين معكوفتين، ثم جمعت شرحه من خلال شروح العلماء وأساتذة الجامعات عبر الأشرطة وهي كالتالي :

- ١ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للشيخ صالح بن فوزان آل فوزان.
- ٢ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ولم يكتمل.
- ٣ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للأستاذ الدكتور ناصر العقل - عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -
- ٤ - شرح كتاب «فضل الإسلام» للدكتور عبد العزيز بن محمد السعيد - عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -

بالإضافة إلى بعض الكتب المساعدة في إتمام الشرح مثل : كتب التفسير، والحديث، ولللغة بحسب ما يقتضي هذا الشرح المختصر وسميته : (اعلام الأنام بشرح كتاب فضل الإسلام) وقد تضمن هذا الشرح ما يلي :

- المقدمة.

- ترجمة موجزة للشيخ محمد بن عبد الوهاب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
- تعريف بالكتاب وبيان فضله و سبب تأليفه.
- شرح متن الكتاب.

هذا، وأسأل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلي أن يحسن لنا نياتنا وأعمالنا، ويصلح لنا ذرياتنا، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والدعوة إليه كما يحب ربنا ويرضى، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته

حنان بنت علي بن محمد اليماني
مشرفه وحدة التربية الإسلامية
بمحافظة الطائف

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هو الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهبي التميمي، ولد سنة ١١١٥هـ بالعينة من بلاد عارض اليمامة ونشأ في أحضان أسرة فاضلة، وبين أبوين كريمين، فوالده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان (ت ١٤٥٣هـ) من علماء نجد المعروفين، ومن قضاة العينة، وجده الشيخ سليمان بن علي (ت ١٠٧٩هـ) من المشهورين بالفقه والفتوى، وكذلك عمّه وخاله، مما هيأ له البيئة الصالحة.

وقد دفعه ذلك إلى الإقبال على العلم في وقت مبكر، مع ما جباه الله من الذكاء الواffer، والفهم الثاقب والقدرة على الحفظ والصبر على القراءة والتحصيل.

حفظ القرآن الكريم واستظهره وهو دون العاشرة، وأخذ عن كثير من علماء بلده، ورحل إلى الحجاز والبصرة، والأحساء والمدينة، وأخذ عن شيوخها.

عقيدة:

هي عقيدة السلف الصالح، وقد قال مرة: أشهد الله، ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة.

مذهبه في الفروع:

هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقد ذكر ذلك في مؤلفاته فقال: (وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل - إمام أهل السنة والجماعة - في الفروع، ولا ندعى الاجتهاد، وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائناً من كان). اهـ. [محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه]. تأليف: أ. مسعود الندوبي ص ١٤٨.

حصره:

انتشر في عصره البدع والخرافات والشرك الصريح، بسبب الدولة العثمانية، التي كانت راعية لهذه البدع في كل مكان.
- ففي المدينة النبوية كان يسمع الاستغاثات برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه
ودعاءه من دون الله تعالى.

- وفي نجد الكثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة رض، يحج الناس إليها، ويطلبون منها حاجاتهم، ويستغثون بها للدفع كروبيهم.

فقد كانوا في الجبيلة - قرية من قرى العينية - يؤمرون قبر زيد بن الخطاب، يتضرعون إليه ويسألونه حاجاتهم.

- وكذلك في الدرعية كان يوجد قبر لبعض الصحابة، كما يزعمون.

- وأغرب من ذلك توسلهم في بلد المنفورة - قرية ذات أمارة من قرى الرياض - بفح النخل، واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تتزوج، فكانت من تقصده تقول: «يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول».

وغير ذلك من البدع والشركيات ما الله به عليم.

ولم يجرؤ أحد من العلماء على الإنكار، فتصدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب لذلك، فبدأ بالإنكار حين كان في البصرة، وبدأ في تأليف كتاب التوحيد، وبعد أن غضب أهل البصرة منه ونقموا عليه رجع إلى بلده، واستقر في «حرملاء» وبدأ دعوته لقومه إلى العقيدة

الصحيحة، ونبذ الشرك والبدع والخرافات، ولما تأمر البعض على قتله غادرها إلى «العينة» مسقط رأسه، وكان حاكمها آنذاك عثمان بن حمد بن عمر الذي رحب به، وسانده في دعوته، إلى أن جاءه خطاباً تهديدياً من «سليمان بن محمد بن عريعر» حاكم الأحساء وبني خالد يأمره بقتله، وإلا قطع عنه خراج الأحساء، فخضع له وأخرجه من العينة يمشي على رجليه، ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى، ويردد قوله تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَبَرَزْقًا مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^١ (الطلاق: ٢ - ٣)، ووكل به فارس يمشي خلفه، وعندما هم الفارس بقتل الشيخ - بإيعاز من ابن معمر - ارتعدت يده، وكفاه الله شره.

ونزل الشيخ بالدرعية سنة ١١٥٨هـ ضيفاً على عبد الرحمن بن سويلم، وابن عمه أحمد بن سويلم، وخاف ابن سويلم على نفسه من الأمير محمد بن سعود، ولكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب سُكِّنْ جأشه، وأفرغ عليه من العطاءات وملأه رجاء بالله وبنصره.

ثم زاره الأمير محمد بن سعود بترغيب وحث من أخوي الأمير اللذين كانوا يحضران للشيخ دروسه وشرح الله صدر الأمير، وبابع الشيخ محمد على الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، والتمسك

بسنة رسول الله ﷺ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الشعائر الدينية.

وهكذا انتشرت دعوته حتى عمت الجزيرة كلها، وتجاوزت الجزيرة ولا يزال صدى دعوته يتعدد حتى الآن.

توفي سنة ١٢٠٦هـ، ويعتبر بحق مجدد الدين في القرن الثاني

عشر:

مؤلفاته:

ألف عدة كتب منها:

- كشف الشبهات.
- كتاب التوحيد.
- مختصر السيرة النبوية.
- الأصول الثلاثة.
- أصول الإيمان.
- الكبائر.
- مسائل الجahلية.
- مختصر زاد المعاد.
- فضل الإسلام.

(انظر ترجمته في كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب. عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه» للشيخ أحمد بن حجر آل بن علي، ص ١٥ - ٢٩ باختصار).

تعريف بالكتاب

هذا الكتاب الذي ستتعرض لشرحه هو كتاب «فضل الإسلام» لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. وهو كتاب جامع مبين لفضل هذا الدين ووسطيته صدر من عالم جليل، علم ما الناس عليه من البدع والضلالات، والأهواء وما شطحوا به في تفسيرهم للإسلام ووسطيته، وما أداهم إليه الغلو من الخروج عن الإسلام، أو الواقع في البدع والمحاثات فعالج ذلك على ضوء الكتاب والسنة، في ثلاثة عشر باباً جاماً من أبواب الخير. وفضل الإسلام قد نوَّه الله تعالى به في القرآن الكريم، وجاءت به السنة المطهرة مبينة لذلك، كما جاء بيان فضله على السنة أهل العلم الربانيين، الذين ورثوا نبيهم صلوات الله عليه، وساروا على نهجه وأخذوا من مشكاته. ولهذا، فإن هذا الكتاب حريٌّ بالمراجعة القراءة، والنظر فيه.

خاصة في مثل هذه الأزمان التي ظهر فيها الجهل، وقلّ فيها العلم
وتوسّطت على الناس الشبه والمحاذيات.

والمؤلف رحمه الله أراد بهذا الكتاب بيان فضل الإسلام الذي بعث
به النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهذا يتضمن الإسلام الذي اشتراك فيه الأنبياء
عليهم السلام، لأنهم مشتركون في العقيدة، فعقيدتهم واحدة وشريعتهم
مختلفة، فكل ما ورد في فضل الإسلام يدخل في فضل التوحيد الذي
اشتركت فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وهنا ترد مسألة وهي :

عندما صنف الإمام رحمه الله هذا الكتاب «فضل الإسلام» جعل
تحته ثلاثة عشر باباً، وعنون للباب الأول بعنوان الكتاب «باب فضل
الإسلام» فهل يقصد الإمام أن هذه الأبواب جميعاً داخلةً في فضل
الإسلام، أم أنه سمي الكتاب بجزء منه؟

كلا المعنين محتمل، فيحتمل أنه سمي الكتاب ببعضه، وهذا
 واضح الدلالة، ويحتمل أن هذا العنوان مشتمل على جميع الأبواب
المذكورة تحته. وعلى المعنى الثاني لابد أن نعرف متعلقات هذا الفضل
حتى تكون الأبواب التي ساقها المؤلف واضحة.

وذلك أن فضل الإسلام له متعلقات، ففضله باعتبار حقيقته،
وفضله باعتبار أهله، وكذا فضله باعتبار الزمان وباعتبار المكان،
وفضله على غيره من الأديان، وغير ذلك، فإذا نظرنا إلى تعدد
متعلق هذا الفضل ترابطت الأبواب كلها، وظهر ارتباطها بعنوان
الكتاب.

وأخيرا فإن هذا الكتاب عظيم في بابه، ينبغي الحرص على فهمه
وإدراكه، وفقه معاني نصوصه مما يبعد عن الناس كثير من الشبه
والمحاذيات سواء كانت بقصد أو بغير قصد.



باب فضل الإسلام^(١)

(١) يريد المصنف بتوجيهه «باب فضل الإسلام» عدّة أمور:

الأمر الأول: فضل الإسلام في نفسه على غيره من الملل.

والإسلام يشمل الدين كله بمراتبه المختلفة : الإسلام والإيمان والإحسان ويشمل الدين كله من جهة العقيدة والشريعة والسلوك والجزاء ونحو ذلك فالإسلام فضل غيره ، وصار مفضلاً على غيره بتفضيل الله جل وعلا.

الأمر الثاني: فضل الإسلام على أهله الذين اعتنقوه ودخلوا فيه واستقاموا عليه ظاهر في الدنيا والآخرة في النصوص، وبين المصنف بعضاً من هذه النصوص التي تدل على فضل الإسلام على أهله، وأثاره المباركة على عباد الله.

الأمر الثالث: أن الإسلام تحمله أمة، وهذه الأمة لأجل حملها للإسلام
صارت مفضلة على غيرها، وصارت خيراً من غيرها، كما قال تعالى:
﴿كُنْتُمْ حَتَّىٰ أُمَّةٌ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثم فيه فضل الأمة الوسط من هذه الأمة على سائر فرق الأمة التي أخبر عنها الرسول ﷺ بأنها ستفترق على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هي الجماعة التي أخذت بالدين الوسط، يعني الدين المتيقن منه، العدل الخيار. قال تعالى: «وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطًا»

[البقرة: ١٤٣].

وقول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١) [المائدة: ٣]

= فإذا كان لأهل الإسلام عامة فضل خاص - بيته الآيات والأحاديث في هذا الباب - فإنه أحرى الناس بأخص الفضل وأعلى الفضل هم أهل السنة والجماعة الذين أخذوا بطريقة الجماعة الأولى ، ولهذا ثبت في المسند أن النبي ﷺ قال : (أنتم توفون سبعين أمة ، انتם خيرها وأكرمنها على الله) .
إسناده حسن من حديث حكيم بن معاوية . [المسند: ١٥ . ٢٠٠١٥]
ولهذا بين المصنف رحمه الله في هذا الكتاب بعامة ما يتصل بتقرير هذه المسائل وبين أنواع الفضل في الدنيا والآخرة ، وما يتميز به القرآن والسنة من الفضل على أهله المتمسكون به بأنواع الفضل - كما سيأتي بمشيئة الله -

(١) هذه الآية نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة في حجة الوداع ، وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم ؛ لأن النبي ﷺ عاش بعدها مدة يسيرة حيث رجع إلى المدينة بعد الحج ، ثم مرض وتوفي ﷺ ، وهي دليل على أن النبي ﷺ ما توفي حتى أكمل لنا الدين ، وفي ضمن هذا رد على المبتدعة الذين يحدثون أشياء وينسبونها إلى الدين .

- وهذه الآية من النصوص الدالة على فضل الإسلام ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث طارق بن شهاب ، عن عمر بن الخطاب :

= (أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها ، لو علينا عشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال : أي آية ؟ قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة). صحيح البخاري : ٤٥ - صحيح مسلم : ١٧٠٣.

- هكذا عرف اليهودي فضل الدين من هذه الآية ، حيث إن فضله ظاهر من عدة جهات :

أ) فمن جهة حقيقة الإسلام : فإن فضله ظاهر من حيث إن الله ﷺ كمله والكامل لا يحتاج إلى زيادة ، وأتمه ﷺ ، وما أتمه الله ﷺ فلا ينقصه أبداً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما عند شرح هذه الآية : (أخبر الله نبيه ﷺ المؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً) [تفسير ابن كثير : ٢/٤١].

ب) ومن جهة أهله : وذلك أن قوله تعالى : ﴿وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ جاء عاماً للناس أجمعين ، ولهذا لا يقبل الله جل وعلا بعد البعثة ديناً من أحد سوى الإسلام ، فهذا فضل لجميع أهله.

ج) ومن جهة بقائه : وذلك أن الأديان السابقة كانت مخصوصة لأوقات محددة ، وأزمنة عينها الله ﷺ ، ثم نسخها بدين الإسلام ، بينما دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ فإنه باقٍ إلى قيام الساعة ، حتى إن

= عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يتزل آخر الزمان فإنه يحكم بشرعية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وفي قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » يراد به أن دين الإسلام بعقيدته وشرعيته، وبمصادره من الكتاب والسنة، وما دل عليه الكتاب والسنة من الأدلة قد أكمله الله جل وعلا، فلم يعد فيه زيادة لمستزيد وهذا فضل الإسلام بخلاف الملل الأخرى التي لم تكن كاملة.

وفي هذا رد على الذين ينتقصون الإسلام، وأنه لا يصلح لكل زمان مثل الملاحدة اليوم الذين يقولون : إن الإسلام لأجيال مضت ، والزمان قد تغير ، فالإسلام لا يصلح لآخر الزمان . فالله تعالى يرد عليهم بهذه الآية فإذا قصرت أفهام بعض الناس عن فهم الإسلام ، فالعيب ليس في الإسلام ، وإنما في فهم بعض الناس ، وإلا فالدين كامل وصالح وشامل لصالح العباد إلى أن تقوم الساعة .

- وفي قوله عَلَّمَكُمْ : « وَأَنْهَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » أي أتم الله لنا النعمة بهذا الدين وهو أعظم نعمة أنعم الله بها على البشرية .

والنعمة نوعان :

أ) نعمة دينية . ب) نعمة دنيوية .

والإسلام له فضل في الجهتين :

فمن الجهة الدينية : الإسلام بمصادره من الكتاب والسنة فيه البيان لما يحتاجه الناس في أمر دينهم ، فلا يتبس الطريق على من أراد الحق .

=ب) ومن الجهة الدنيوية : فإن الله عَزَّلَ وعد من تمسك بالإسلام أنه يكون في حياة طيبة ، كما قال جل وعلا : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُتْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَيِّنَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً » [التحل : ١٩٧].

والحياة الطيبة تشمل الطمأنينة في هذه الدنيا ، والأمن والرضا ونحو ذلك مما لا تكون الحياة الطيبة إلا به مهما كثر المال أو كثرت ملذات الدنيا ، فإنها لا تستقيم إلا بالطمأنينة والرضا والأنس بالله عَزَّلَ.

- وفي قوله سبحانه : « وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » رضي الله تعالى هذا الدين لنفسه ، ورضيه لعباده ، ولا يرضي سبحانه ديناً سواه ، قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » [آل عمران : ١٩]. وسائر الأديان كلها باطلة لا يرضها الله عَزَّلَ. وفي قوله : « لَكُمْ » دلالة على أن المراد هو الإسلام الذي صار سمة هذه الأمة . والإسلام إذا رضيه الله عَزَّلَ لعباده ديناً معنى ذلك أنه عَزَّلَ يرضى عنمن أخذ بهذا الإسلام ، ويرضى عنمن استقام على الإسلام ودخل فيه ، وإذا كان كذلك فأهلها مرضي عنهم ، وإذا كانوا مرضياً عنهم من الله جل وعلا فهم إذا مخصوصون بتوفيق الله جل وعلا ومعيته الخاصة قال سبحانه : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » [التحل : ١٢٨] ، ومعية الله الخاصة هي لمن رضي عنه ، فمن رضي عنه قوله عملاً = وذلك بتمسكه بالإسلام اعتقاداً وعملاً - فإنه يحظى بالمحبة من الله عَزَّلَ =

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْمِنُّا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَعْوَفُنَّكُمْ ﴾⁽¹⁾ (يونس: ١٠٤)

= والتوفيق والهدى، وهذه كلها فيها من الآثار في الدنيا والآخرة ما لا يدخل تحت الحصر.

ولهذا وجوب على المسلم أن يتبع فضل الله تعالى عليه بهذا الدين، فلا يُمْنُ على الله بعمله وعبادته، فإن الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو صاحب الملة لو كانوا يعقلون.

(١) هذه الآية من سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْمِنُّا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَعْوَفُنَّكُمْ ﴾ ... الآية. هذا خطاب من الله تعالى للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعلن للمشركين أنهم إن كانوا في شك مما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو الإسلام - فإنه عليه الصلاة والسلام لا يعبد الذين يعبدون من دون الله، ولكن يعبد الله الذي يتوفاهم بمعنى أنه استدل عليهم بتوحيد الربوبية؛ لأن هذه الآلة المعبودة من غير الله لا تملك نفعاً ولا ضراً ولا تميّت، لذلك ليست مستحقة للعبادة وإنما المستحق للعبادة هو الذي أنفس الخلق بيده سبحانه.

فهذه الآية استدل بها الإمام المصلح بِحَمْدِ اللَّهِ ليبيان فضل الإسلام من عدة جهات:

أ) فضل الإسلام من جهة حقيقته: وذلك أن الآية تبين أن حقيقة الإسلام =

=الذى بعث به النبي ﷺ هو توحيد الله عَزَّلَ الذى اتفق هو وإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إليه ، وهذا ظاهر من قوله تعالى : « فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ » فأعلن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي فيها النفي وفيها الإثبات .

ب) فضل الإسلام من جهة عمومه : ويتبيّن هذا من قوله سبحانه : « قُلْ يَتَأْمِنُ أَنَّاسٌ إِنْ كُنْتُمْ » ... عام يشمل العرب والعجم ، والأبيض والأسود والذكر والأنتى ، والقريب والبعيد ، وهذا بخلاف الأديان السابقة التي كانت خاصة في أقوام الرسل عليهم الصلاة والسلام .

ج) فضل الإسلام على أهله : حيث إنهم يسلمون من براثن الشهوات وبراثن الشبهات ، وهي أعظم ، فإذا وردت الشكوك فإن صاحب الدين يسلم من التردد فيها ، ولهذا قال عَزَّلَ : « قُلْ يَتَأْمِنُ أَنَّاسٌ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » فإذا وقعت الشكوك من أهل الشرك أو أهل البدع أو أهل الضلالات ، وأوقعوها لدى المؤمن وعرضوها عليه ، فإن من فضل الإسلام على المؤمن ، وعلى المسلم ، إذا علمه وتمسك به ، وصار له به النور في قلبه أنه لا يتأثر بتلك الشبه والشكوك كما كان إمامنا عليه الصلاة والسلام قويًا فيما واجه به المشركين ، حيث قال لهم : « يَتَأْمِنُ أَنَّاسٌ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي » يعني من دين الإسلام =

وقوله تعالى : « يَتَأْمِلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقْوَا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »

^(١) [الخديد: ٢٨]

= والتوحيد الذي جئت به « فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنُكُمْ » فكلما قوي الإيمان والعلم بتفاصيل الإسلام بعقيلته وشرعيته فإن المرء يكون قوياً معتزاً بالإسلام لا تؤثر فيه شبهة، وهذا من آثار وفضل الإسلام على أهل الإسلام أن الله يُشكّل يثبتهم، ولا يكلهم إلى أنفسهم، بل يعينهم ويسلدهم عند حلول الشبهات.

وهذا واقع، فإما صمد في كل زمان عند حلول الفتنة أهل العلم بالإسلام والسنة، فكان لهم الأجر على أنفسهم وعلى الأمة في كل زمان ومكان.

(١) قوله تعالى : « يَتَأْمِلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقْوَا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » لعلماء التفسير قولان في تفسير هذه الآية، وبيان من المقصود بها هل هم المؤمنون من أهل الكتاب؟ أم المؤمنون من هذه الأمة؟.

فعلى القول الأول : بأن المراد بهذه الآية هم مؤمنو أهل الكتاب ، فإن فضل = الإسلام ظاهر من وجهين :

= الوجه الأول : أن الله تعالى دعا أهل الكتاب إلى الإيمان بالرسول ﷺ ومتابعته والانتباد لدین الإسلام وترك الشرائع السابقة التي وإن كانت صحيحة فهي منسوخة بشرعية محمد ﷺ ، وبالتالي فإن غيرهم من الوثنيين والمشركين أولى بأن يدخلوا في دين الإسلام ، فيظهر فضل الإسلام باعتبار أنه شامل للناس أجمعين .

الوجه الثاني : أن الله تعالى قال : «يُؤْتَكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِي» فجعل سبحانه أجراً عظيماً مرتبًا على الدخول في الإسلام ، فمن كان مؤمناً بنبي سابق وأدرك الإسلام وأمن ضوعف له أجره مرتين ، وقد جاء هذا الوعد لأهل الكتاب في آية أخرى في سورة القصص ، وهي قوله تعالى : «الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يَتَلَقَّ عَلَيْهِمْ قَاتُلُوا إِمَانًا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرْتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» [القصص : ٥٢ - ٥٤] .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران ، عبد ملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران ، ورجل كانت له أمة فغذتها ، فأحسن غذاءها ، ثم أدبها فأحسن أدبها ، ثم أعتقتها وتزوجها ، فله أجران). (صحیح البخاری : ٩٧ - ١٥٤) .

صحيح مسلم : ١٥٤ ، والله نظر لمسلم .

= على القول الثاني : وهو أن المراد بهذه الآية هم مؤمنو هذه الأمة فدلالتها على فضل الإسلام ظاهرة ؛ لأن الله عَزَّلَ رتب على الإسلام أجرين وعلى غيره أجر واحد - كما دل عليه حديث ابن عمر عَنْ الذي سيأتي - وقد ذهب إلى هذا القول الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لهذه الآية ، وبين أن هذه الآية خطاب للمؤمنين بأنهم إن حفظوا الإسلام واتقوا الله وآمنوا برسوله فإن الله جل وعلا يفضل عليهم ، وبين عليهم بثلاثة أنواع من الفضل :

الأول : أنه يؤتىهم كفلين من رحمته ، كما قال تعالى : ﴿يُؤْتِكُمْ كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي حظين عظيمين من رحمته ، وهذا يشمل رحمة الدنيا التي يحتاج إليها كل الناس ، ورحمة الآخرة التي لا ينجو أحد من النار إلا بها .
الثاني : قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ وهو نور العلم واليقين وال بصيرة ، الذي يستطيع المسلم أن يميز به بين الحق والباطل ، وبين المهدى والضلال . وهذا النور الذي يجعله الله في قلوب المؤمنين إنما يعظم بعظمة تحصيل الإسلام والاستقامة عليه عقيدة وشريعة ، وإذا زاد النور في القلب فإنه يبصر به في ظلمات الشبهات ، بل من فضل العلم وأثره على العبد أنه بالقرب من أهل الاستقامة على الإسلام والسنّة وطريقة السلف الصالحة ينفعه الله عَزَّلَ النور الذي يبصر به ولا يضل به السبيل .
الثالث : قال : ﴿وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فمن فضل الإسلام على =

= أهله أن الإسلام بتحقيقه سبب عظيم من أسباب المغفرة، والله تبارك قد وعد كل مسلم ومسلمة، وكل مؤمن ومؤمنة بالمغفرة والأجر العظيم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالْخَشِعِينَ وَالْخَشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّتِيرِينَ وَالصَّتِيرَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجُهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكَرِينَ اللَّهُ كَيْمًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وكلما كان المسلم أقوى في الاستمساك بالإسلام والسنة، والبعد عن الشرك فإنه يكون أقوى في الإitan بسبب المغفرة، ولهذا جاء في الحديث أن الله تبارك يقول: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأنك أتيتني بقربها مغفرة) [صحيح سنن الترمذى: ١٢٨٠٥]. يعني: بملء الأرض مغفرة.

وبعد هذه الآيات ينبغي التبيه إلى أنه لما جعل الإسلام مفضلاً على غيره وجعل أهله مفضلياً على غيرهم، فإنما يعني ذلك أن التبعية بهذا التفضيل عظيمة. لهذا قال سبحانه في وصف هذه الأمة: ﴿ كُنْتُمْ حَتَّىٰ أَمْمَةٌ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَعْمَلُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ هُوَ أَلَّا عِزْمَانٌ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وكلما زاد الفضل زادت التبعية؛ لأن الله تبارك يؤخذ الفاضل بما لا يؤخذ به غيره، ويؤخذ العالم بما لا يؤخذ به من ليس به عالم.

وفي الصحيح^(١) عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال:
.....(مثلكم ومثل أهل الكتاب كمثل رجل استأجر أجراً^(٢))

= وهذا يعظم التبعية على كل رافع لراية السنة والتوحيد:
- أن لا يختلف عن التمسك بذلك أولاً.

- أن لا ينسب إلى الإسلام والسنة ما ليس منه، لأنه إنما يصف الطريق التي
وصفها الله تبارك وتعالى، ووصفها رسوله ﷺ وذلك بدلائله من الكتاب والسنة
على فهم سلف هذه الأمة.

(١) أي صحيح البخاري / ٢١٤٨ ، وفيه لفظ : (وأقل عطاء) بدلاً من : (وأقل
أجراً).

وهذا الحديث فيه بيان فضل الإسلام على أهله ، وأنهم أعظم أجراً من
غيرهم من أصحاب الملل السابقة ، وقد ضرب النبي ﷺ هذا المثل
لتوضيح هذا الأمر.

(٢) قوله ﷺ : (مثلكم ومثل أهل الكتاب كمثل رجل استأجر أجراً) أي
مثل أمة محمد ﷺ ، ومثل أهل الكتاب من اليهود و النصارى (كمثل
رجل) : المثل به هو الله تبارك وتعالى ، حيث هو الذي تعبد عباده بالعبادات ، وهو
الذي يعطيهم الأجرا ، فغير بقوله : (كمثل رجل) ؛ لأن تمثيل الحقوق في
القرآن الكريم بحق الله تبارك وتعالى ، وحق عباده ونحو ذلك يكون بالرجل ومن =

فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط^(١)? فعملت اليهود، ثم قال: من ي عمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط^(٢)? فعملت النصارى، ثم قال: من ي عمل من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأتم هم فغضبت اليهود والنصارى^(٣)،

=يعمل عنده، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوْجِهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٢٦]، ونحو ذلك من الآيات التي يضرب فيها المثل بما يقرب الأمر إلى سامعه.

(١) قوله: (من غدوة إلى نصف النهار): من أول النهار إلى الظهر (على قيراط): القيراط جزء من أجزاء الدينار. [النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٢٤/٤]، وقد كان متعامل به سابقاً.

(٢) قوله: (من نصف النهار إلى صلاة العصر): من صلاة الظهر إلى صلاة العصر.

(٣) قوله: (فغضبت اليهود والنصارى): متى كان هذا الغضب؟.

- قال بعض العلماء: يحتمل أن ذلك مذكوراً عندهم في الكتب السابقة فهم علموا أن هذه الأمة تعمل أقل منهم، وتنال أجراً أكثر منهم فغضبوها.

وقالوا: مالنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ قال: هل نقصتكم من حكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء^(١).

= - وقال بعض أهل العلم: أن هذا يظهر لهم يوم القيمة، وإنما عبر بالماضي؛ لأن وقوع هذا الشيء متحقق.

ولكن ليس المراد كل اليهود والنصارى، وإنما كفارهم هم الذين غضبوا كما ذكر ذلك أهل العلم؛ لأن الاعتراض على قدر الله وشرعه كفر.

(١) قوله: (ذلك فضلي أوتيه من أشاء): لا حجر على الله تعالى، وهو لا يظلم أحداً فيخسه حقه، والله حكم عدل بمحاري على العمل ويزيد، والزيادة فضل منه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَإِن تَكُ مِن لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فهذا فضل الله سبحانه على هذه الأمة، ولا اعتراض عليه في تفضيله لها على غيرها من الأمم، وهو سبحانه أعلم بموضع فضله، وهو أعلم بخلقه ومن يستحق الفضل، فالجزاء على العمل عدل، والزيادة على الجزاء فضل منه تعالى. إذًا من هذا الحديث يتبيّن لنا فضل الإسلام من جهتين:

- ١- فضله على أهله: بأنهم خصوا بزيادة الأجرا على غيرهم من الأمم.
- ٢- فضله في ذاته: بأن العمل الذي يقع في شريعة الإسلام يفضل على العمل الذي يقع في الشرائع السابقة.

وفيه أيضاً^(١) عن أبي هريرة رض قال: قال رسول الله ص:
(أفضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت،

= وفي قوله ص: (ذلك فضلي أوتني من أشاء) : لفتة عظيمة يبغى التغطى
لها وهي : أن هذا الفضل المذكور في الحديث - مضاعفة الأجر لهذه الأمة -
إنما هو من الله جل وعلا ، وإذا كان من الله جل وعلا فإن فضل الإسلام
على أهله إنما هو من الله عزوج ، وهذا يجعل المسلم دائم التعلق بالله جل
وعلا معرفة منه بفضل ربه عليه في دينه هداية ، وفي أجره عليه.

- فمن الذي هدى عباده للإسلام؟

- ومن الذي هداك للاستقامة على السنة؟

- ومن الذي تفضل عليك بالنور بعد ذلك؟

- ومن الذي تفضل بالحظين من الرحمة والكفلين من الأجر؟
فحينئذ يكون الأمر من الله جل وعلا وإليه ابتداء وانتهاء ، وهذا يجعل قلب
المسلم موطنًا على محبة الله عزوج والذل له والاعتراف له جل وعلا بالفضل
والإحسان دائمًا وأبدًا.

(١) أي في صحيح مسلم: ٨٥٦. والضمير في قوله (و فيه) : يعود على الصحيح
لا على البخاري.

(٢) هذا الحديث ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رض بنحوه
واللفظ الذي ساقه المؤلف إنما هو من حديث حذيفة بن اليمان رض.

و[كان] للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا [الله] لـ يوم الجمعة
[يجعل الجمعة والسبت والأحد]، وكذلك هم تبع لنا يوم القيمة
نـحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيمة)^(١)

(١) في هذا الحديث بيان فضل الإسلام على الأديان السابقة، وفضل أهله
فهم أفضل الأمم في الدنيا والآخرة.

ومعنى الحديث: أن الله عَزَّلَ ابْتِلَى الأُمُّمَ مِنْ قَبْلِنَا فِي يَوْمٍ يَتَخَذُونَهُ عِيداً
فَأَمْرُهُمْ يَوْمٌ، وَأَعْمَى ذَلِكَ الْيَوْمَ عَلَيْهِمْ.

- فاجتمعت اليهود وأجمعـت على أن ذلك اليوم هو يوم السبت، وقالـوا:
لأنـه اليوم الذي استراح الله فيه - قبحـهم الله - بعد أن تعب من خلق
السمـوات والأرض، فـكان بداية الخـلق يوم الأحد، ونـهايته يوم الجمعة
ولـم يكن في يوم السبت خـلق فاستـراح فيه الله عـزـلـه - تعالى الله عـما يقولـون
علـواً كـبيرـاً - فـجعلـوا هذا اليوم عـيدـاً. فـردـ الله تعالى عـليـهم بـقولـه سـبـحانـه:
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَيْنَةٍ أَيَامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾

﴿اق : ٣٨﴾

- واجـتمـعت النـصارـى عـلى أن عـيـدهـم يـوـم الأـحـد وـقـالـوا: لأنـه هو الـيـوم
الـذـي اـبـتـداـ الله فـيه الـخـلق.

- أما هـذه الـأـمـة فإنـ الله عـزـلـه هو الـذـي اختـار لها يـوـم الجمعة لأنـه أـفـضل =

و فيه تعليقاً^(١) عن النبي ﷺ أنه قال:

= الأيام، ولأنه تكامل فيه الخلق، وفيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها، وفيه توفي الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل العبد ربه فيه عطاء إلا استجيب له، وفيه تقوم الساعة، فهو اليوم العظيم الذي حدث فيه الحوادث العظيمة، وسيحدث فيه الحدث العظيم وهو قيام الساعة.

فاليهود والنصارى تبع لنا في الدنيا، حيث إن يوم الجمعة يتبعه السبت والأحد. وكذلك هم تبع لنا في الآخرة وذلك لأن هذه الأمة تبعث قبل الأمم، وتحشر أول الأمم، وهي أول الأمم حساباً، وأول الأمم دخولاً الجنة، ولهذا جاء في آخر الحديث: (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيمة).

إذاً فضل الإسلام على ما سبق ظاهر، حيث إنهم في الدنيا هم المتبعون وفي الآخرة تقدم هذه الأمة على غيرها من الأمم فتكون الأولى يوم القيمة، وهذا دليل على شرف منزلتها في الدنيا والآخرة؛ حيث إنها الآخرة وجوداً في الدنيا، والأولى دخولاً الجنة في الآخرة.

(١) أي في صحيح البخاري في باب الدين يسر، في كتاب الإيمان من أول صحيح البخاري [٢٢: ١].

والتعليق: هو الذي حذف من مبدأ إسناده راوٍ أو أكثر، وقد يحذف الإسناد كله. وهو على قسمين:

(أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة)^(١)

- ا) معلق مجزوم به : وهو ما كان بصيغة الجزم كـ(قال) وـ(ذكر) وـ(روى).
- ب) معلق غير مجزوم به : وهو ما كان بصيغة التمريض كـ(قيل) وـ(ذكر) وـ(روى).

وقد حصر الحافظ ابن حجر معلقات البخاري ، وذكر أسانيدها في كتابه «تغليق التعليق» وهذا التعليق من المجزوم به.

والتعليق يعتبر من الحديث الضعيف ، إلا أن وجوده في الصحيحين أو أحدهما يؤنس بصحته ، لأنهما اشترطا على نفسيهما الصحة في كتابيهما فلا يخرجان إلا الصحيح فقط.

(١) قوله ﷺ : (أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة).

- في قوله (الدين) هل الألف واللام للعهد أم للجنس؟

يعنى : هل الألف واللام للجنس : فيكون المراد جميع الأديان ، أي أحب الأديان إلى الله ﷺ الحنفية السمحة التي هي دين الإسلام ودين محمد ﷺ ، أم أن الألف واللام للعهد فيكون المراد : الدين المعهود ، وهو دين الإسلام ، فيصبح المعنى : أحب خصال الدين الذي هو الإسلام الحنفية السمحة ، أي ما كان على وفق السنة ، وكان سمحاً سهلاً.

وعلى هذا بحسب توجيهه كلمة (الدين) يختلف معنى (أحب).

فعلى المعنى الأول : وهو أن الدين للجنس تكون (أحب) أفعل بمعنى =

= (مفعول) يعني محظوظ الدين إلى الله الحنفية السمححة؛ لأن الأديان السابقة ليست محبوبة لله جل وعلا بعد مجيء الإسلام، فتكون أفعال هنا ليست على بابها في التفضيل؛ وإنما بمعنى مفعول: أي محظوظ الدين عند الله.

وعلى المعنى الثاني: وهو أن الدين للعهد، وأن المقصود هو دين الإسلام يكون (أحَبُّ) على بابها - في التفضيل - والمعنى: أحب خصال الإسلام وشرائع الإسلام إلى الله عَزَّلَكَ الحنفية السمححة، وهذا هو الذي فهمه البخاري، حيث أورد الحديث في كتاب (الإيمان) ليدل على يسر الدين أولاً، وأن أيسر الدين أحبه إلى الله عَزَّلَكَ، وليدل على أن الأعمال من الإيمان.

- قوله: (الحنفية السمححة): يقول ابن القيم (جمع الله عَزَّلَكَ في هذه الشريعة بين كونها حنفية، وكونها سمححة فهي حنفية في التوحيد، سمححة في العمل) [إغاثة اللهفان: ١٠٨ / ١].

فالحنفية في الأصل هي ملة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي التي أوحى إلى محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يتبع ملته، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

والحنفية: مأخوذة من الحنف، وهو الميل عن جميع طرق الضلال إلى الطريق الذي رضيه الله عَزَّلَكَ، أي مالت عن الشرك إلى التوحيد.

والحنف: هو المقبل على الله، المعرض عمّا سواه، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان مقبلاً على الله عَزَّلَكَ، معرضاً عن سواه من الخلق، ولذا امتدحه الله عَزَّلَكَ

= فقال : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتَلَهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[(النحل: ١٢٠)].

- وإذا كانت (الحنيفية) يعني الميل فإنها قد تكون :

أ) في العقيدة والأصل والتوحيد، لأن العقيدة في باب العلم تحتاج إلى ميل من الغلط إلى الصواب.

ب) في الشريعة، في باب الأهواء والشهوات فتحتاج إلى ميل عن طريق الشهوة إلى طريق الاتباع والاستقامة.

- ومعنى (السمحة) : الميسرة السهلة، وفي هذا الحديث بيان أن الله عز وجل من على هذه الأمة بأن جعل دينها حنيفاً سمحاً سهلاً، بخلاف الأمم السابقة التي ابتلتها بالأصوار والأغلال، قال تعالى : ﴿ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن صور الأصوار التي كانت على الأمم السابقة ما نقله الدكتور فرج الفقيه في كتابه [مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية] ص ٤٤٣ حيث قال : (جاء في سفر الخروج : إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات ، يرجم الثور ، ولا يؤكل لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً ، ولكن إن كان ثوراً نطاها من قبل ، وقد أشهد صاحبه ، ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم ، وصاحبها أيضاً يقتل) وقد نقل ذلك تحت عنوان : (التشديد في العقوبة حتى شملت الحيوان).

= ونقل صورة أخرى تحت عنوان : (التشديد في الأوامر) [ص ٤٤٨] حيث قال : (جاء في إنجيل متى وإنجيل مرقس ما يلي : وقد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزن ، وأما أنا أقول لكم : إن كل من ينظر إلى امرأة فيشهيها فقد زنى بها في قلبه ، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها ، وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسده كله في جهنم ، وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها ، وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسده كله في جهنم).

وقد خفف الله تعالى على هذه الأمة حتى أصبح سمتها وسمة دينها اليسر والسهولة ، وصارت قاعدة من قواعد الشريعة : أن الحرج في العبادات مرفوع ، وأنه لا واجب مع العجز ، ولا حرم مع الضرورة ، وأن المشقة تجلب التيسير ، حتى اختص الله تعالى هذه الأمة بأنها لا تؤخذ بما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم ، كما جاء في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : (إن الله تعالى تجاوز لأمتی عما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم به) اتفق عليه ، صحيح البخاري : ٢٣٩١ . صحيح مسلم : ١٢٧ ، واللفظ له وهذا يدل على فضل الإسلام في نفسه ، وفضله على أهله ، فالإسلام أسمح الأديان في رفع المشقة عن العباد ، ومضاعفة الأجور لهم ، ومغفرة الذنوب . تنبية :- مسألة اليسر والسهولة مما مختلف فيه الأفهام ، فينبغي ضبطها بأنها على أحد وجهين :

الأول: أنها منصوصة في الشريعة (الكتاب - السنة) فإذا كان منصوصاً عليها كانت محبوبة إلى الله تعالى، مثال ذلك: الإفطار في السفر، وقصر الصلاة في السفر لعلة السفر، ولحكمة رفع المشقة فإن الفطر والقصر أفضل في السفر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

الثاني: أن يكون التيسير والسماحة التي حكم بها قد قررها إمام أو عالم مجتهد يصلح الاجتهاد من مثله بتطبيق أصول وقواعد الشرع، ومنها قاعدة (المشقة تجلب التيسير) أو (الضرر يزال) أو نحو ذلك من القواعد فإذا جاء الحكم اليسير عن اجتهاد صحيح في تطبيق قواعد رفع الحرج، فإن هذا يكون من الدين الذي هو أحب إلى الله تعالى من غيره، ولهذا كان سفيان الثوري رحمه الله يقول: (التشديد يحسنه كل أحد، وإنما العلم الرخصة تأنيك من الفقيه).

فإن تبين ذلك ، فإن الناظر في أحكام الشريعة الإسلامية يجدها مبنية على السماحة واليسر في باب الطهارة وأحكام المياه ، والآنية ، وأحكام الصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج.....الخ ، وكلما كان الأمر أيسر كان أحب إلى الله تعالى ، وهكذا كان الرسول ﷺ كما قالت عائشة ؓ : (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إلهاً) أصحح البخاري : ٣٣٦٧ لأنه يحب ما يحبه الله تعالى ، وأحب الدين إلى الله الحنيفة السمحاء . قال الشعبي رحمه الله : (إذا اختلف عليك أمران فإن أيسرهما أقربهما إلى =

وعن أبي بن كعب رض قال : (عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر [الرحمن] ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار ، وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من [مخافته] الله إلا كان [مثله] كمثل شجرة ييس ورقها [فيينا هي كذلك إذ أصابتها الريح فتحات عنها ورقها] إلا تحات عنه ذنبه كما تحات عن هذه الشجرة ورقها ، وإن اقتصاداً في [سبيل] وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة) ^(١)

= الحق ، لقوله تعالى : «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» [البقرة : ١٨٥] [نصرة التعيم : ٤ / ١٤١٩].

والسماحة ليست فقط في الأحكام العملية ، وإنما تشمل الأحكام العلمية الاعتقادية ؛ لأن الإسلام دين الفطرة ، ليس فيه تعقيدات كلامية ، ولا مباحث فلسفية لا يفهمها إلا خواص الناس ، بل كل أحد يفهم الإسلام عقيدة وشريعة إذا شُرِح بعبارات سهلة.

وأما ما أحدث في هذه الأمة من الأقوال المترفة ، وما يسمونه الفلسفة الإسلامية أو التعقيدات التي لا تصلح لجمهور الأمة ، فإن هذا بلا شك مما يحزم أنه ليس مما يحبه الله تعالى ؛ لأنه ليس من الحنيفية السمحاء.

(١) هذا الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه / ١٧٣٧٥ ، وابن بطة في =

=الإبابة/ ٢٥٠ ، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٣/١ ، بنحوه وهذا الأثر في بيان فضل الإسلام ، وأن من كان على الإسلام الحق ، وهو السبيل والسنة فإن عمله يكون مقبولاً عند الله تعالى ومن آثاره أن الله تعالى يحط عنه خطاياه .
ويعني بقوله : (عليكم بالسبيل والسنة) : الزموا السبيل والسنة ، والمراد بالسبيل : سهل محمد ﷺ ، وسبيل أصحابه ؓ ، وهو المذكور في قوله تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَشْيِعُوا السُّبْلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سَبِيلِهِ » [الأنعام: ١٥٣] .

ففي هذه الآية وحدها الصراط ، وجعله صراطاً واحداً ، وسبيلاً واحداً وهو الذي يجمع أمور الإسلام على تفاصيلها وأمور السنة على تفاصيلها ، وأما السبل الأخرى والأهواء فعلى كل سهل منها شيطان يدعو الناس إلى دخوله .

مسألة مهمة :

ورد في سورة العنكبوت قوله تعالى : « وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِيَنَا لَهُمْ سُبْلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » [العنكبوت: ٦٩] ، فجمعت فيها السبل ، وفي الآية المذكورة آنفاً ذكر سهل واحد ، وهي التي في سورة الأنعام ، حيث وحده الصراط فيها وهو السهل ، وكذا في أثر أبي ؓ فهل هناك تعارض بين هذه النصوص ؟

الجواب : ليس هناك تعارض ، ولكن السهل المقصود به : سهل الإسلام =

=والسنة، وهذا في داخله تفاصيل، فقيه سبيل الصلاة، وسبيل الزكاة وسبيل الصلة، وسبيل أعمال القلوب الخ مما يحتاج إليه الناس مفصلاً في أمور دينهم، وفي عياداتهم العلمية والعملية.

فيكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَّهُمْ سُبُّلًا﴾ المقصود بها: تفاصيل السبل وهي كلها سهل واحد، وصراط واحد دل عليه قوله تعالى: ﴿أَهَدِنَا أَصْرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

وقوله: (فإنه ليس من عبد على سهل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار...): يريد بذلك أن الفضائل التي جاءت في الأحاديث إنما يحظى بها من كان على السهل والسنة، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سهل الله) (صحيح سنن الترمذى: ١٣٣٨).

فبين أئمَّةَ ﷺ أنه إنما يحظى بهذا الفضل من كان على سهل وسنة، وأما الذي يبكي وهو على بدعة فهذا لا ينفعه بكاؤه ولا خشوعه ولا خشيته. فكثير من النصارى والقبوريين والمبتدعون يكونون ويخشعون، ولكن على غير هدى، وعلى غير سهل وسنة، فلا يؤجرون على هذا البكاء ولا ينفعهم عند الله ﷺ، فليست العبرة بالبكاء والخشوع وإنما العبرة بما عليه العبد هل هو على سهل وسنة فيؤجر، أما على بدعة وضلاله فلا ينفعه بكاؤه وخشوعه.

ثم قال : (وليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فاقشعر جلده من خفافة الله إلا كان مثله كمثل شجرة يس ورقها ، فيينا هي كذلك إذ أصابتها الريح...) : يعني أنه إذا كان على سبيل وسنة فإنه تتحات ذنبه كما تتحات أوراق الشجر اليابس ، وهذا كما جاء في الحديث : (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأنك بقربابها مغفرة) (صحيح سنن الترمذى : ٢٨٠٥) ، وهذا يدل على عظم شأن التزام المنهج الذي خُص به النبي محمد ﷺ ، وهو السبيل والسنّة الذي كان عليه هو وصحابته رضي الله عنه ، فمن أراد أن ينجو فليرجع بيصره ويصيرته وقلبه إلى ما قبل حدوث تلك الفرق والأهواء ، إلى الزمن الذي أجمع فيه المسلمين على العقيدة والسبيل والسنّة ، وهو زمن الصحابة رضي الله عنهم قبل حدوث الاختلاف ، فليس منهم من ابتدع بدعة ، بل نجاهم الله من البدع والمحدثات .

ثم قال : (وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة) : وذلك أن الله تعالى يبارك في قليل العمل إذا كان على سبيل وسنة وعلى وفق السنّة ، فإن الله يحبه ويحب صاحبه ويثنيه ويبارك له وينمي له عمله .

وأما إذا كان العمل على غير سبيل وسنة ، فإنها حينئذ تكون محدثات ويدع فيهاخذ عليها ، ويكون عاصياً لله تعالى بها متبعاً غير سبيل المؤمنين ، فمهما

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم
كيف يغبون سهر الحمقى [وصيامهم]؟ [ولم تقال] ذرة من بر مع تقوى
ويقين أعظم وأفضل وأرجح من [أمثال الجبال] عبادة [من]
المغترين) ^(١).

= كان العمل كبيراً وهو على غير هدى فإنه لا يؤجر عليه؛ لأن العبرة
ليست بكثرة العمل، وإنما العبرة باتباع السنة. فربما عمل قليل على سنة
يدخل صاحبه الجنة، وعمل كثير على بدعة يدخل صاحبه النار، والعياذ
 بالله.

ففي هذا الأثر بيان فضل الإسلام الصحيح، الذي هو التزام بالسبيل
والسنة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وأن من التزم به بارك الله
له بالعمل القليل، وضاعف له الأجر، بخلاف من خالف السبيل والسنة
من أهل البدع، فإنه مهما اجتهد في العمل فإنه لا ينفعه؛ لأنه يعمل على
غير جادة وعلى غير أصل، والله تبارك لم يبتل الناس بكثرة العمل، وإنما
ابتلاهم بحسنه، قال تعالى : « لِيَتَبَلُّوكُمْ أَيُّكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً » (الملك : ٢).

(١) قوله : (وعن أبي الدرداء ﷺ قال : (يا حبذا نوم الأكياس
وإفطارهم ،...)) : هذا الأثر أخرجه الإمام أحمد في كتابه (الزهد) / ٧٣٧ -
وأبو نعيم في (الخلية) ٢١١/١ ، وهو وإن كان في سنده جهالة الرواية =

= عن أبي الدرداء، إلا أن هذا الأثر تشهد له نصوص الكتاب والسنة.
والأثار لا يتشدد في إثباتها، كما يتشدد في إثبات الأحاديث.

وفي قول أبي الدرداء : (يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم ، كيف يغبنون سهر الحمقى وصيامهم) : بيان لأثر الإخلاص وصحة المعتقد في قبول العمل ونائه ، فيقول : إن العبد قد لا يكثر من الصيام والصلوة النافلة ولكن مع ذلك معه تقوى - خوف من الله تعالى - ومعه يقين - صدق في إيمانه وعقيدة صحيحة لا شبهة فيها ولا شك - فيكون أفضل من سهر ليله بالقيام ، وأظمأ نهاره بالصيام مع فقده لهاتين الصفتين ، أو مخالفته للسبيل والسنة .

- وهذا الأثر فيه أيضاً بيان درجة عالية ، وهي أعلى درجات الدين ، وهي الإحسان ، وأن من عمل عملاً مشتملاً على برٌ وتقوى ، أكمل وأعظم من عمل عملاً وكان برٌ صاحبه وتقواه أقل من الأول؛ لأن الاعتبار في العبادات في أصلها بما يقوم في القلب من التقوى والإخلاص ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿لَنْ يَتَالَ اللَّهُ لِحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَتَالَهُ الْتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾
الحج : ٣٧. فدل ذلك على أن المعتبر هو الإخلاص في القلب ، وصدقه مع ربه تعالى. والناس يتفاوتون في هذا ، وهذا ما فضل به أبو بكر الصديق رض
على سائر الأمة ، فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل في كتابه افضائل الصحابة / ١١٨] بإسناد صحيح إلى عبد الله المزني أنه قال : (إن

=أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوماً، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه).

وهذا معنى كلام أبى الدرداء حكيم هذه الأمة عندما قال: (ولم تقال ذرة من ير مع تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المفترين) قوله: (المقال ذرة): أقل القليل. (من بر): عمل صالح متيقن على سبيل وسنة. (مع تقوى): مع خوف من الله جل وعلا وعدم اغترار بالعمل. (ويقين): اليقين هو الصدق في الاعتقاد والصواب فيه فيكون (مقال ذرة من بر) مع هذين الشرطين (التقوى واليقين) أعظم وأفضل وأرجح (من أمثال الجبال عبادة من المفترين) الذين اغتروا بكثرة عبادتهم أو جهادهم، أو اغتروا ببذلهم في الدعوة ونحو ذلك. وهذه الكلمة من فقهه العظيم ، وهكذا كان طريق الصحابة .

لهذا وصف النبي ﷺ الخوارج بأنه: (يحرق أحذكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) اتفق عليه، صحيح البخاري: ٣٤١٤ – صحيح مسلم: ١٠٦٤.

فليست العبرة بكثرة العبادة أو الجهاد أو الدعوة، وإنما العبرة بموافقة السبيل والسنة مع التقوى واليقين. وقد سئل الحسن البصري رض: لم كان الصحابة أفضل، مع أن من التابعين من هم أكثر منهم عبادة؟ فقال =

=
= **الله :** (أولئك عبدوا الآخرة في قلوبهم، وهؤلاء عبدوا الدنيا في
قلوبهم).

ومما سبق يتبيّن لنا فضل الإسلام على أهله، ومن ذلك ما اختصت به من
بين سائر الأمم من :

- ١ - مضاعفة الأجر.
- ٢ - اختصاصها بيوم الجمعة.
- ٣ - سهولة الدين ويسره.
- ٤ - التجاوز عن حديث النفس.
- ٥ - رفع الإثم عن المخطئ والناسي والمكره.
- ٦ - التوبة بشرطها - الميسرة -.

وغير ذلك من الخصائص الدالة على سعة فضل الله تعالى ورحمته بهذه
الأمة.



باب وجوب الإسلام^(١)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

الآخرة من الخاسرين ﴾^(٢) [آل عمران: ٨٥]

(١) بعد أن بين المصنف في الباب الأول فضل الإسلام، وما يحظى به أهله إذا التزموا به واستقاموا عليه من الفضل العظيم في الدنيا والآخرة، وبين هنا أن هذا الإسلام الذي ذاك فضله، ليس الدخول فيه دخولاً اختيارياً بل يجب الدخول في الإسلام على كل أحد بعد بعثة الرسول ﷺ، لقوله ﴿ وَالَّذِي نَفَسَ اللَّهُ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِيَ أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصَارَىٰ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ صحيح مسلم: ١١٥٣؛ وذلك حتى لا يُظن مع ذكر الفضائل أن المسألة اختيارية، بل الإسلام يجب الدخول فيه، سواء كان ذلك الدخول في الإسلام من ملل الكفر والوثنيات، أو كان الدخول في الإسلام كافة أصولاً وفروعاً من قبل أهله.

(٢) هذه الآية تدل على وجوب الدخول في الإسلام؛ لأن الله تعالى ذكر فيها أن من طلب ديناً غير دين الإسلام فلن يُقبل منه ذلك الدين، وهو في الآخرة من الخاسرين، فانحصر بعد ذلك أن يكون الإسلام هو المتعين على كل أحد أن يدخل فيه، لأنه إذا تعبد الله ييهودية أو نصرانية، أو محبوبة =

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْيَا سَلَمُ»^(١) [آل عمران: ١٩٠].....

= أو صابئة أو نحوها من الملل والنحل والأهواء فإنه لا يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين. قوله: «وَمَن» عامة تشمل الجميع ذكراً وأنثى حراً وعبدًا، عربياً وعجمياً، إنسياً وجنياً، فدل هذا على وجوب الدخول في الإسلام الخاص الذي بعث به النبي ﷺ.

وهكذا أيضاً في المعنى الأخص، وهو من ابتغى عملاً ليس هو من الأعمال التي أمر الله جل وعلا بها، وجاءت بها السنة مثل الحديثات المختلفة والعقائد المتنوعة التي أحدثت في هذه الأمة مثل عقيدة الخوارج، والمرجئة والمتصوفة، والقدرية.... ونحو ذلك، فإنه لن يقبل منه، وهو سوف يخسر بحسب ما فعل. فقوله عليه السلام: «وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»، الخسارة هنا بحسبها:

أ) قد تكون خسارة كبرى: بأن يخسر الجنة، ويدخل النار، ويكون من المخلدين فيها.

ب) وقد تكون خسارة صغرى: بأن يخسر الدخول في الجنة أولياً والسلامة من العذاب مطلقاً، ولكن يعذب بقدر ما عنده من مخالفة إن لم يغفر الله له ويتجاوز، ثم يدخل الجنة.

= (١) ما المراد بالإسلام في هذه الآية هل هو العام أم الخاص؟

= - ذكر بعض أهل العلم أن المراد بالإسلام في هذه الآية : الإسلام العام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، وإخلاص الدين لله تعالى ، وهو دين جميع الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى عيسى عليه السلام . ولهذا نقل ابن القيم في سبب نزول هذه الآية ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه افتخر المشركون بآبائهم ، فقال كل فريق : لا دين إلا دين آبائنا ، وما كانوا عليه ، فأكذبهم الله تعالى فقال : « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا سَلَمُوا » يعني الذي جاء به محمد صلوات الله عليه وآله وسالم وهو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ، ليس الله دين سواه . [التفسير القيم للإمام ابن القيم ص ٢٠١] .

- واستدل بعض العلماء بهذه الآية على الإسلام الخاص الذي بعث به النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسالم ، والذي لا يُقبل من أحد غيره بعد بعثته ، وإن كان على دين النبي السابق ، فلا يُقبل منه إلا الإسلام الذي هو شريعة محمد صلوات الله عليه وآله وسالم . ومن استدل بها على الإسلام الخاص الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . فالآلية لها عموم وخصوص ، فهي عامة في جميع الديانات الشرعية التي أنزلها الله تعالى ، فلا يقبل الله من جميع الأمم إلا الإسلام . وهي خاصة بهذا الدين بعد أن نسخ الله الأديان السابقة ، وختمتها بهذا الدين الذي أرسل به محمد صلوات الله عليه وآله وسالم كما قال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَمِّمًا عَلَيْهِ » [المائدة : ٤٨] .

وقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا سَلَمُوا » : هذا خبر ، فإذا كان الدين =

وقول الله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَشْيُعُوا
الشَّيْلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»^(١) [الأنعام: ١٥٣].

= عند الله هو الإسلام، فإن من عبد الله بغير الإسلام لم يكن مطيناً لربه لأنه لم يحصل له تحقيق الدين لله عَزَّوجَلَّ، والدين: هو الذل والخضوع لله عَزَّوجَلَّ، فمن عبد الله باليهودية، أو النصرانية، أو أي ملة أخرى، كان عاصياً لله عَزَّوجَلَّ مخالفًا لهذه الآية، فدل ذلك على وجوب الدخول في الإسلام؛ لأن الدين الخضر فيه، وهذا ظاهر من الآية.

(١) هذه الآية هي آخر الوصايا العشر التي في سورة الأنعام، وهي ظاهرة الدلالة على وجوب الدخول في الإسلام، حيث أمر الله عَزَّوجَلَّ فيها باتباع صراطه المستقيم، والصراط المستقيم: ذكر الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - بأنه فسر في هذه الآية بأنه السنة، وأنه الإسلام والقرآن، وأن النبي محمد ﷺ، وهذه كلها متلازمة، وذلك لأن الدخول في الإسلام يقتضي العمل بالقرآن والسنة، ومتابعة النبي ﷺ فيما أخبر به عن ربه جل وعلا.

- كما دلت الآية على أن اتباع الصراط الذي هو الإسلام والسنة واجب بأمر الله جل وعلا، وأن اتباع غيره من الأهواء والشبهات والبدع محرم لقوله تعالى: «وَلَا تَشْيُعُوا الشَّيْلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ». فهذا أمر منه بسلوك طريق الإسلام والسنة، وترك ما سواه من النحل والبدع والمذاهب =

قال مجاهد: السبيل: البدع والشبهات^(١)

=والفرق، لأنها كلها تؤدي إلى الهلاك، فمن أراد النجاة يمشي مع
الصراط، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة.

(١) قوله: (قال مجاهد: السبيل: البدع والشبهات): أخرجه ابن جرير في
تفسيره: ٥ / ٣٩٧ وهذا من تفسير اللفظ ببعض آحاده، واللفظ جامع
فقوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ»: أي جميع السبل التي هي غير الإسلام
فإن اتباعها ضلال.

والناس في اتباع السبيل على فريقين:
أ) إما أن يتبع سبيلاً منافياً للإسلام بالكلية كاليهودية والنصرانية والبوذية
ونحوها، فهذا كافر.

ب) وإنما أن يكون أصله مسلماً، ولكن اتبع الأهواء والبدع، فهذا بدعته
قد تكون مكفرة مخرجة عن الله، وقد تكون غير مكفرة، ولكن تقدح في
دينه، وتنقص من إيمانه، وإن كان لا يزال مسلماً.

- فقوله تعالى: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ»: عام في جميع السبل، سواء كانت
كافرية أو بدعة، فإن العبد منهي عنها؛ لأنها تميل به عن دين الإسلام إما
كلياً أو جزئياً.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - تعليقاً على كلام مجاهد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

وعن عائشة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أخر جاه. وفي لفظ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(١).....

= (نعم هي البدع والشبهات التي تفرق بأصحابها، كل حزب بما لديهم فرجون. قال تعالى: ﴿فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بِيَنْهُمْ رُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ﴾ المؤمنون: ٥٣). وهذا من تمام العقوبة، أن الإنسان يفرح بالباطل، وإذا فرح بالباطل لم يتركه). اهـ.

(١) الحديث الأول متفق عليه. [صحيح البخاري: ٢٥٥٠ – وصحيح مسلم: ١٧١٨] والحديث الثاني أخرجه مسلم في [صحيحه: ١٧١٨].

وهذان الحديثان ميزان الأعمال الظاهرة للعبد، كما أن حديث: (إنما الأعمال بالنيات....) ميزان الأعمال الباطنة، فمن صحت نيته في باطنها واستقام في ظاهرة على وفق السنة، فإنه حيثئذ مقبول العمل، وأما إذا فات أحدهما فليس بمقبول العمل.

- فمن فاته الإخلاص كان عمله رباءً.

- ومن فاته المتابعة كان عمله بدعة.

ما الفرق بين الحديدين؟

قوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا...): يشمل الذي ابتدع البدعة =

= وأحدث الحدث ، ولو لم يعمل بذلك. فمن أحدث الحدث فهو مردود عليه ، ولن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وقوله ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا....) : هذا يشمل الذي يعمل بالبدعة ولو لم يحدثها.

والبدع على نوعين :

أ) بدع في الدنيا : وهذه غير داخلة في النهي ، ولهذا توسع الصحابة في أمور الدنيا على حسب المصلحة .

ب) بدع في الدين : وهذا هو المردود جملة واحدة ، فلا يجوز لأحد أن يحدث في الدين ، سواء كان الحديث في الأمور العلمية (الاعتقادية) أم الأمور العملية . فالبدع كلها مذمومة .

- ما هو تعريف البدعة ؟

عرفت البدعة بـ: ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ في قول أو عمل أو اعتقاد ، وجعل ذلك هدياً ملتزماً وطريقاً مسلوكاً .
ويتحصل من هذا التعريف أربعة أمور :

الأول : أن البدعة قد تكون في الأقوال ، أو الأفعال ، أو الاعتقاد .

الثاني : أن البدعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه .

الثالث : أن البدعة يقصد بسلوكها التقرب إلى الله عزّل .

الرابع : أن البدعة ملتزمة ، يعني أنه جعلها طريقة تضاهي الطريقة =

= المشروعة في الالتزام، أما إذا لم يلتزم بالقول أو العمل فيكون خلاف السنة.

وتنقسم البدع من حيث الحكم إلى:

أ) بدعة كفرية:

١ - إما عقدية: ومثال ذلك: سلب الرب ^{تعزلاً} عن جميع صفاته، كما فعل الجهم بن صفوان.

٢ - أو عملية: مثل الاستشفاع بالموتى، وهو شرك أكبر مخرج عن الملة، وهو بدعة محدثة في هذه الأمة.

ب) بدعة دون الكفر:

١ - إما عقدية: كبدع الإرجاء وبدع الخوارج، وتأويلي الصفات، وبدع القدرية... الخ.

٢ - أو عملية: مثل الصلوات المبتدةعة، والأذكار المبتدةعة وغير ذلك وهذه كلها لا تصل إلى الكفر والشرك.

والبدع العملية قسمان:

أ) بداع أصلية: وهي ما أحدث وليس له أصل يتبعه مثل: إحداث بدعة الموالد أو المآتم، أو نحو ذلك مما لم يكن له أصل في الشريعة.

ب) بداع إضافية: أصل العمل مشروع، ولكن زيد عليه أشياء صارت بدعة، مثل: الاجتماع على الذكر على نحو ما، أو التزام رفع اليدين بالدعاء بعد الفريضة.

وللبخاري^(١) عن أبي هريرة^{رض} قال: قال رسول الله^ص: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي). قيل: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)^(٢).

= مسألة: ما مناسبة هذا الحديث لباب (وجوب الدخول في الإسلام)؟ مناسبته أنه يجب على العبد أن يدخل في الإسلام الصحيح، ويكون متابعاً للنبي^ص، وهو ما يعبر عنه أهل العلم بتوحيد المرسل.

لأن هناك توحيدان كما ذكر بعض أهل العلم - وهما:
أ) توحيد المرسل: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، سمي بهذا الاسم، لأن الله^ع هو الذي أرسل الرسل.

ب) توحيد المرسل: يعني طاعة النبي^ص، واتباعه فيما جاء به من عند الله تعالى.

إذا لا يكون دخول العبد في الإسلام دخولاً صحيحاً كما أمر إلا بمتابعة النبي^ص، والخذر من البدع والمحدثات، وبهذا يظهر مناسبة الحديث للباب، والله أعلم.

(١) صحيح البخاري: ٦٨٥١، بلفظ (قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟).

(٢) هذا الحديث فيه حث على الدخول في الإسلام، فمن أراد الجنة دخل في الإسلام، إذ ليس للجنة طريق إلا الإسلام الذي جاء به الرسول^ص =

= ولا يمكن الدخول في الإسلام إلا بطاعة الرسول ﷺ، فإذا لم يطع الرسول ﷺ ويلترم بسته فإنه لم يدخل في الإسلام كله، والله تعالى أمر بالدخول في الإسلام كله، في قوله ﷺ: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوهُ فِي الْسِّلْمِ كَافِفَةً» [البقرة: ٢٠٨].

ففي هذه الآية أمر من الله ﷺ للمؤمنين أن يدخلوا في «السلام كافية»: أي جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وأن لا يكونوا من اتخذوا هواه، بل يكون هواه تبعاً للدين. [تفسير السعدي باختصار ٢٥٥/١].

وفي هذا الحديث تعظيم لطاعة الرسول ﷺ، وأن من أطاعه فإنه موعود بدخول الجنة: (كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبي).

وقد جاء الأمر بطاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن الكريم من ذلك:

- قوله تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» [النساء: ٨٠].

- قوله تعالى: «فَلَيَحْذِرُ الَّذِينَ تَحَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [النور: ٦٣].

وقوله ﷺ: (كل أمتى) ما المراد بالأمة هنا، هل هم أمة الدعوة، أم أمة الإجابة؟

البعض قال: أن المراد أمة الدعوة وهي من بعثة النبي ﷺ إلى قيام

=الساعة، فهذه تسمى أمة الدعوة، لأن النبي ﷺ بعث إليهم يدعوهم إلى الإسلام، فيكون المراد: أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على الإسلام فمن لم يستجب للرسول ﷺ، ولم يكن مسلماً فلا يدخل الجنة، وعبر بقوله: (يدخلون الجنة) للتشويق في التزام الطاعة. ولكن هذا ليس بجيد.

والقول الثاني: وهو الصحيح: أن المراد بقوله: (أمتى): أمة الإجابة وهم أهل الإسلام، كلهم يدخلون الجنة إلا من أبي دخول الجنة، وذلك بعصيان الرسول ﷺ، وعلى هذا كل من عصى الرسول ﷺ لا يدخل الجنة؛ لأنه حيشتد يكون معرضًا للوعيد.

لكن الدخول إلى الجنة على قسمين:

أ) دخول أولي: أي بعد أن ينقضي الناس من الحساب، فإنهم يدخلون الجنة دخولاً أولياً.

ب) دخول متاخر: وهو لاء هم من شاء الله تعالى أن يعذبهم من أمة محمد ﷺ فيدخلون النار، ويعذبون بقدر ذنبهم، ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة.

وعلى هذا فيكون معنى الحديث: (كل أمتى): أمة الإجابة، (يدخلون الجنة): دخولاً أولياً. (إلا من أبي): فلا يدخلها دخولاً أولياً، وإنما يتأخر وإذا تأخر فإنه من أهل الوعيد، يعذب في النار بقدر مخالفته وعصيائه للرسول ﷺ.

وفي الصحيح^(١) عن ابن عباس ﷺ، أن النبي ﷺ

= ويقابل هذا في النصوص : التحرير :

- تحرير دخول الجنة، وذلك مثل قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)

[صحيح البخاري : ٥٦٣٨ - صحيح مسلم : ٢٥٥٦]، قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة غلام) [صحيح مسلم : ١٠٥]. ونحوها.

- أو تحرير دخول النار مثل قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَعْتَدِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ) [صحيح البخاري : ٤١٥]. ونحو ذلك.

فالتحرير في النصوص أيضاً قسمان :

أ) تحرير أبدى : يحرم عليه أن يخرج من النار أبداً، أو يحرم عليه دخول الجنة أبداً، وهذا في حق الكافر والمنافق نفاقاً أكبر.

ب) تحرير مؤقت : يحرم عليه الجنة إلى زمن، ثم يدخلها إذا كان من أهل المعاصي من الموحدين، ومنهم من تحرم عليه النار أبداً.

ويهذا تستقيم النصوص، وتبين غلط الخوارج، وأهل البدع الذين فهموا من نفي الدخول مطلق الدخول، وفهموا من التحرير مطلق التحرير فكفروا المسلمين بالكبار بسبب جهلهم، وعدم رد النصوص المتشابهة إلى النصوص الحكمة في القرآن والسنة.

(١) صحيح البخاري : ٦٨٨٢.

قال : (أبغض الناس إلى الله ثلاثة^(١) ، مُلحدٌ في الحرم^(٢) ،

(١) قوله : (أبغض الناس إلى الله ثلاثة) : فيه إثبات صفة البغض لله تعالى ، وأنه من صفات الأفعال ، فهو يبغض كما أنه يحب ﷺ ، يبغض أهل الشر والكفر ، ويحب أهل الخير والإيمان.

وقوله : (ثلاثة) : لا مفهوم للعدد ، ولا يعني أن هؤلاء هم الأبغض فقط وإنما يعني أن هؤلاء أشد بغضاً .

وكون هؤلاء المذكورين في الحديث هم أشد الناس بغضاً عند الله ، دليل على أن فعلهم الذي فعلوه من أكبر الكبائر.

(٢) قوله : (ملحدٌ في الحرم) : الحرم : المراد به الحرم المكي ، وكذلك الحرم المدنى ، فمكة حرمها إبراهيم ﷺ والمدينة حرمها الرسول ﷺ بقوله : (المدينة حرم ما بين عيّر إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (صحيح مسلم : ١٣٧٠) .
والإلحاد : هو الميل عن طاعة الله إلى معصية الله .

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالإلحاد :

- فمنهم من فسر الإلحاد بالشرك بالله ﷺ والكفر ؛ لأن هذا أعظم الإلحاد وهو الميل عن الطريق الصواب .

- ومنهم من فسر الإلحاد بالقتل وسفك الدماء .

- ومنهم من فسر الإلحاد في الحرم بفعل الكبائر والمعاصي ، وإحداث =

المحدثات والبدع

- كما فسر بأنه كل ما نهى الله جل وعلا عنه نهى تحريم، سواء كان شركاً أو ما دونه، فإنه إلحاد وميل عن الصراط المستقيم، وهذا التفسير الأخير هو الذي اختاره ابن جرير وغيره، وهو التفسير الصحيح؛ لأن التخصيص لا وجاه له، وقد قال سبحانه : **﴿وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ إِلْحَادٌ يُظْلِمُ إِنَّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾**

[الحج: ٢٥]. انظر : [تفسير الطبرى ١٣٢/٩].

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في معنى هذه الآية : (مجرد الإرادة ، ولو أنه نوى بقلبه تنفيذ شيء في الحرم ، فإن الله يذقه العذاب الأليم ، حتى ولو لم ينفذ ، فكيف إذا نفذ ؟ الأمر أشد - والعياذ بالله -). اهـ .
[من شريط (شرح فضل الإسلام)].

وهنا مسألة مهمة وهي : ما حدود الحرم المكي الذي فيه تضييف الصلاة بمائة ألف صلاة ، وتضييف الحسنات ، وشدة فعل السيئات ؟

الجواب : أن حدود الحرم المكي ما كان داخل الأ咪ال الخجولة بمكة من جميع الجوانب ، وكل ما أدخلته الأ咪ال المعروفة فهو حرم فيه فضل الصلاة ، وفيه النهي عن الإلحاد والذنب الخ.

ويدل لذلك قوله تعالى : **﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَرَكَنَا حَوْلَهُ﴾** [الإسراء: ١].

وقد أسرى به  من بيت أم هانئ ، كما هو قول أكثر المفسرين ، فهذا

ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية^(١) ومطلب دم امرئ بغیر حق.....

= دليل على أن المسجد الحرام ليس خاصاً بمسجد الكعبة المدار حول الكعبة، بل كل مكة حرم.

ومسألة أخرى: هل الحسنات تضاعف جميعاً أم الصلاة فقط؟ وهل السينات تضاعف في الحرم أم لا؟

الجواب: أصح أقوال العلماء أن التضييف بمائة ألف إنما هو خاص بالصلاوة؛ لأنها هو الذي ورد فيه الدليل، وهو قوله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام) [صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٢]. وفي رواية أخرى: (صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) [صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٣].

أما عموم الحسنات، فإن الطاعة فيه لشرف المكان أفضل من الطاعة في غيره، والسيئة - باتفاق أهل العلم - أشد من السيئة في غيره، لكن لا تضاعف السيئة في الكتم، وإنما في الكيف؛ لأن الله ﷺ يقول: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ^{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُحْجِزَ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}» [الأنعام: ١٦٠].

(١) قوله ﷺ: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية): هذا هو الشاهد من هذا

=الحادي للباب، وهو أن كل المحدثات التي أحدثت في الدين، وكل ما
خالف به الناس منهج الرسول ﷺ وطريقة أصحابه ﷺ فإنما راموا طريقة
من طرق أهل الجاهلية، مصداقاً لقوله ﷺ : (لتبعن من سنن من قبلكم شيئاً
بشيء، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه....) (الصحيح
البخاري: ٣٢٦٩). فيدخل في الجاهلية كل جاهلية قدية أو حديثة سواءً من
جاهلية العرب، أو جاهلية أهل الكتاب من اليهود والنصارى.
وقوله: (مبين): يعني مريضاً عن قصد وطلب.

وقوله: (في الإسلام): أي في زمن الإسلام من بعد بعثة الرسول ﷺ إلى
قِيام الساعَة.

وقوله: (سنة الجاهلية): معنى كلمة (سنة) لغة: الطريقة والعادة، فكل
من اعتاد شيئاً وجعله طريقة له قيل: هذه سنة فلان.
ولكل أمة سنة: عادة وطريقة كما في قوله تعالى: «قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَتِيلَكُمْ سُنَّةً»
آل عمران: ١٣٧. أي طرائق وعادات لكل أمة. وهذه السنة قد تكون في
العقائد، أو المعاملات، أو العادات الاجتماعية..... الخ.

وأما في الإسلام، فلا تطلق السنة إلا على أقوال النبي ﷺ وأفعاله
وتقريراته وصفاته الأخلاقية والخلقية، فنقول: سنة النبي ﷺ، وكذلك
تطلق على من كان على سنته مثل: سنة الخلفاء الراشدين.
فإذاً قوله: (ومبين في الإسلام سنة الجاهلية): يشمل إرادة هذا الإنسان =

= بعد ظهور الإسلام أي طريقة وهدي من هدي أهل الجاهلية الذي أبطله الإسلام، وجاء محله سنة من السنن وهدي من المهدى.

وقوله : (جاهلية) : هو لفظ يعود إلى الجهل ، وقد ذكر في القرآن الكريم في غير موضع . كقوله تعالى : ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] ، فهذه الجاهلية مردتها إلى الجهل وهو عدم العلم بالشرع ، وعدم العلم بالكتاب المنزلي ، وعدم العلم بما يستحقه الله عَزَّلَهُ . وقد نقل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بين فيه المراد بقوله رحمه الله : (سنة جاهلية) ، وقد ذكر هذا الكلام في لاقضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم : ١٢٧/١ . بنحوه ، فقال : (قوله : (سنة جاهلية) : يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة - أي في شخص دون شخص - كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون) .

وببيان كلام شيخ الإسلام : أن الجاهلية قد تكون :

أ) **مطلقة** : لا تقييد بزمان أو مكان أو شخص ، إنما هي جاهلية مطلقة ، وهذه الجاهلية المطلقة لا يصح إطلاقها إلا فيما قبلبعثة النبي صلوات الله عليه وسلم ، أما بعد البعثة فلا توجد جاهلية مطلقة ؛ لأن الجهل رفع بإنزال القرآن الكريم ، وعلّم الناس ، ولا يزال في هذه الأمة من هو قائم بأمر الله تعالى إلى قيام الساعة ، كما قال صلوات الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا =

= يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) [صحيح مسلم: ١٩٢٠].
وإذا كان كذلك فإن الجاهلية المطلقة قد ارتفعت، فلا توجد جاهلية مطلقة
حتى في قرن من القرون. ولذا أخطأ من وصف قرناً كاملاً بأنه في جاهلية
كقول بعضهم (جاهلية العصر) أو (جاهلية القرن العشرين) ونحو ذلك؛
لأنه ليس موافق لما دلت عليه النصوص، وفسره أهل العلم.
ب) مقيدة: أي مقيدة بزمن أو مكان أو شخص.

- أما الجاهلية المقيدة بزمان: مثل الزمان الذي كان قبلبعثة النبي محمد ﷺ فإننا نستطيع أن نقول: إنهم كانوا في جاهلية باعتبار زمانهم.
- وأما الجاهلية المقيدة بمكان: يعني أن تكون الجاهلية في مكان دون مكان
وهذا كثير بحسب ظهور السنة وخلفائها وبحسب ظهور تلك الطائفة
المنصورة في ذلك المكان بعينه وعدم ظهورها، فقد تكون في مكان دون آخر
بحسب ما الناس فيه من الاهتمام بالقيام بأمر الله تعالى أو عدمه.

- وأما في الجاهلية المقيدة بشخص دون شخص: وهذا كثير، فقد يكون
المسلم فيه بعض خصال الإيمان، وبعض خصال الجاهلية، أو يجتمع فيه
إيمان وبدعة، ودليل ذلك: ما روي في [الصحيح البخاري]: ٣٢٠، عن المعرور
قال: (لقيت أبا ذرَّا بالرِّبَّةَ، وعليه حُلَّةٌ، وعلى غلامه حُلَّةٌ، فسألته عن
ذلك فقال: (إنِّي سايت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: (يا أبا ذرٍّ
أغيرته بأمه؟ إنك أمرُّ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت=

=أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعنه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتهم فاعينوهم).

وعلى هذا فقد يجتمع في المسلم إسلام ومعصية، وإيمان وبدعة - ما لم يبلغ حد الكفر - فتكون هذه المعصية والبدعة من خصال الجاهلية وسنة الجاهلية. ومن خصال الجاهلية، وسنن الجاهلية: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والتعصب للقبيلة وللجنّس، والنخوة بغير حق، والتقليد المذموم.... وغيره كثير مما فشا بين المسلمين، والله المستعان.

وإذا نظرنا إلى هذه الأمة وجدنا أنها ما أصبحت إلا لأنها فتحت أبواب سنة الجاهلية على الناس، فعبادة الأوثان، وعبادة القبور وتعظيمها، وتعظيم الأموات، ودعاؤهم من دون الله، كل ما جاء إلا عن طريق ابتغاء سنة الجاهلية.

فإذاً المنهج الذي تميز به المتبعون للسلف الصالح، أنهم لم يكونوا يتغرون في الإسلام سنة جاهلية، بل يخالفونها ويستمدونها بما أمرهم به رسول الله ﷺ. ثم قال شيخ الإسلام - ابن تيمية - : (كتابية أو وثنية، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون) : يقصد أن سنة الجاهلية ليست خاصة بجاهلية العرب، بل كل مخالفة لما جاء به المرسلون، سواء كانت موروثة من النصارى، أو اليهود، أو عباد الأوثان، فإنها من سنن الجاهلية. وهذه الجملة مهمة في الحديث، وهي المقصود المهم في أنه يجب على كل =

لیهريق دمه^(١)) رواه البخاري.....

= مسلم أن يتعد كل البعد عن كل سنن الجاهلية، وأن يكون متبعاً لسنة النبي ﷺ، والاطلاع على كتاب (مسائل الجاهلية) للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله حيث ذكر فيه (١٢٨) مسألة من مسائل الجاهلية مما خالفهم فيها رسول الله ﷺ، ولو جمعت المسائل التي أخذها أهل الإسلام المعاصرون من الجاهليات المختلفة لبلغت أكثر مما ذكره إمام الدعوة رحمه الله في هذا المصنف، فدخل ذلك في مسائل العقائد والمعاملات، والعبادات، والسلوك حتى في أصغر المسائل ابتعيت سنة الجاهلية حتى في الأكل والشرب، وفي طريقة اللباس، مما قد لا يهتم به المرء، لكن ابتغوا في الإسلام سنة الجاهلية، وهذا من أعظم المصائب التي تبدل حب المؤمن لدينه ورسوله صلوات الله عليه شيئاً فشيئاً والله المستعان.

(١) قوله صلوات الله عليه : (ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه).

قوله : (ومطلب) بالتشديد، والمراد من يبالغ في الطلب.

وقوله : (بغير حق) احتراز عمن يقع له مثل ذلك، لكن بحق كطلب القصاص مثلاً.

وقوله : (ليهريق دمه) يعني : ليقتله.

وقد تمسك بهذا الحديث من قال : إن العزم المصمم يؤخذ به. افتح الباري :

=

.١٢٦٢/١٢

قال ابن تيمية : قوله (سنة الجاهلية) : (يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة ، أي : في شخص دون شخص كتائية ، أو وثنية ، أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون).

وفي الصحيح^(١) عن حذيفة ﷺ قال : (يا معشر القراء.....

=ويراد بهذا الجزء من الحديث أن من أشد الناس بغضاً إلى الله تعالى من يستحل الدماء المعصومة ، فقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله : « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » [الإسراء: ٣٣].

ويدخل في ذلك دماء المسلمين ، والمعاهدين من الكفار ، والمستأمنين والذميين ، فلا يجوز استحلال دمائهم ولا يُقال : كافر حلال الدم ، لأنَّه عصم بالعهد والميثاق ، وقد قال ﷺ : (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً) [صحيف البخاري : ٢٩٩٥]. فالدم المعصوم لا يجوز الاعتداء عليه ، وهو من أكبر الجرائم. قال تعالى : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَكُن أَثَمًا ۝ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَسَخَّنَ فِيهِ مُهَانًا ۝ » [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

(١) أي في صحيح البخاري : ٦٨٥٣.

استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً^(١) ،

(١) قوله (يا معاشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً) : هذا الأثر مروي عن حذيفة بن اليمان رض أنه كان يدخل المسجد، ويقف على جلس التدريس الذين كانوا يتعلمون القرآن، فيقول لهم : (إن استقمنتم فقد سبقتم سبقاً بعيداً) : أي إن استقمنتم على القرآن والعمل به، إذ ليس المقصود من قراءته أن يحفظه ويحوده ليقال : مقرئ . وإنما المقصود : التمسك بالقرآن والعمل به ؛ فالذي يقرأ القرآن ولا يتخلص به فهذا قد اخترف عنه ؛ لأن القرآن هو الصراط المستقيم الذي من تمسك به نجا ، ومن حاد عنه هلك وضل .

و(القراء) : هم الصفة، وقد كان يطلق اسم القراء على حفظة القرآن وعلى طلبة العلم، كما قال رض : (يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله) [صحيف سنن أبي داود: ٥٤٢]. فالأقرأ هو الأعلم بكتاب الله تعالى. وعلى هذا يكون القراء في كل زمان هم الأفقه، وليسوا الأكثر قراءة.

والاستقامة) : هي سلوك الطريق المستقيم، وهو طريق واحد لا يتعدد والقراء هم القدوة، فإذا أخذوا يميناً وشمالاً من الأهواء والبدع والآراء المختلفة فإنه لا شك يفسد الناس ؛ لأن الناس إنما يكونوا صالحين بعلمائهم وطلبة العلم عندهم، وقراءتهم، ولهذا كان من الكلام الحسن للحسن البصري رحمه الله أنه خاطب القراء في الكوفة فقال لهم : (يا ملح الأرض لا

فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً).

وعن محمد بن وضاح^(١) أنه كان يدخل المسجد

=تفسدوا؛ لأنه إن فسد الملح لم يؤكل الطعام).

وهذا صحيح، وهو من بالغ فقهه وعنایته، فإن فساد القراء وطلبة العلم يترب

عليه فساد الجماعة، وذلك أن عامة الناس لا يلزمهم بالاستقامة إلا شيئاً:

الأول: قوة السلطان.

والثاني: قوة أهل العلم واجتماعهم.

إذا كان القراء تفرقوا واجتهدوا إلى أقوال كثيرة، فإن أثر ذلك على الناس، وعلى الدين، وعلى الاستقامة سيكون أبغض الأثر.

لذا ينبغي في الحقيقة على كل من طلب العلم أن يحرص على الاستقامة بمعناها الواسع: الاستقامة في سلوك منهج السلف الصالح.

الاستقامة في العمل.

الاستقامة في حفظ اللسان والجوارح.

الاستقامة في أمور العلم والعمل، وتجنب الهوى. يكن الأمر في المستقبل إلى خير.

(١) محمد بن وضاح القرطبي، محدث الأندلس، كان عالماً زاهداً ورعاً، له كتاب [البدع والنهي عنها] توفي سنة ٢٨٧ هـ. لانظر ترجمته في كتاب سير أعلام

البلاد / ٤٤٥ .

فيقف على الخلق فيقول : فذكر^(١) وقال^(٢) : أبنا ابا عبيدة ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - : (ليس عام إلا والذى بعده شر منه ، لا أقول عام أمطر من عام ، ولا عام أخصب من عام ، ولا أمير خير من أمير ، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم ، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويُثْلِم^(٣)).

(١) هذا الكلام متعلق بالأثر السابق وهو كلام حذيفة رض ، فيشير الإمام محمد بن عبد الوهاب هنا إلى أن أثر حذيفة رض عنه موجود في كتاب «البدع والنهي عنها لابن وضاح برقم ١١٧» ، وأنه ذكر في أول الرواية أن حذيفة رض كان يدخل المسجد ويقف على الخلق – أي حلق القراء أو حلق طلبة العلم – فيقول : (يا معاشر القراء) الخ.

(٢) (وقال) : أي محمد بن وضاح في كتابه «البدع والنهي عنها برقم ٨١» وإسناده ضعيف ، لضعف مجالد.

(٣) هذا الأثر من ابن مسعود رض فيه فقه عظيم ، بين فيه أن كل عام يكون ما بعده شر منه ، وهذا كما جاء في حديث أنس لما جاءوا يشكون إليه الحاجاج ، وما يلقون من الظلم قال : (اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو يوم إلا الذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربكما سمعته من نبيكم صل) =

[إسناده صحيح. (المستند: ١٢٣٤٧)]. فالشر يزيد كلما تأخر الوقت.

ثم يَبْيَن سبب زيادة الشر، فقدم لذلك بأسلوب فيه تشويق فقال: (لا أقول عام أمطر من عام) : يعني أن المطر سيقل (ولا عام أخصب من عام) : يعني أن المraiي ستقل، (ولا أمير خير من أمير) : يعني أمير هذه السنة يكون خيراً من أمير السنة المقبلة، وهكذا، لم يذهب إلى هذا، لأن هذه مسائل يداولها الله عَزَّلَهُ، وبيده تصريف الأمور سبحانه، ثم فسر ابن مسعود رضي الله عنه سبب زيادة الشر فقال: (ولكن ذهاب علمائكم وخياركم) : وهذا من عظيم فقهه وعلمه، إذ علم أن حقيقة الشر إنما تكون في ذهاب الدين بذهاب العلماء.

وذهاب العلماء إما :

- بموتهم، وقد أخبر النبي ﷺ عن فقد العلم بموت العلماء فقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُلُّوا فأفتابوا بغير علم فقضُلُوا وأضلُلُوا) اتفق عليه. صحيح البخاري: ١٠٠ - صحيح مسلم: ٢٦٧٣.
- أو بقتلهم ومراحمتهم بأقوام يقيسون الأمور بآرائهم.

وهذا هو معنى قول ابن مسعود: (ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويُلْثِمُ).
وقد حدث هذا أول ما حدث في زمن الصحابة رضي الله عنه، لما حدثت بدعة =

=الخوارج قاسوا الأمور بعقولهم وقدموها على ما دلّ عليه الدليل، وهكذا فعلت المرجئة والقلدرية، ففتح باب شر على الأمة الإسلامية، وهدم الإسلام في أزمنة كثيرة وتلّم، وما دخل على المسلمين من شر بقتل عثمان بن عفان ﷺ، ثم قتل عليؑ إلا بسبب الأقىسة الفاسدة وتقديم الرأي على الشرع، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وليس المقصود بـ(هدم الإسلام) : القضاء عليه، واقراضه فإن الإسلام باق بحفظ الله له لكن هدم الإسلام في نفوس كثير من المسلمين بسبب هذه المناهج القياسية التي تقيس بالأراء والعقول.

ومن الأمثلة على ذلك في وقتنا المعاصر: إنكار الدكتور حسن الترابي - أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعة السودانية - نزول المسيح عيسى بن مرريم ﷺ في آخر الزمان، وعندما قيل له: كيف تنكّر حديثاً متواتراً؟ قال: أنا لا أناقش الحديث من حيث سنته، وإنما أرأه يتعارض مع العقل ويُقدم العقل على النقل عند التعارض. «العقلانيون أفراد المعتزلة» / علي بن حسن الخلبي ص ٢٧١.

ومن الأمثلة أيضاً ما نقله محمد بن حامد الناصر في كتابه: «العصريون بين مزاعم التجديد ومبادرات التغريب» ص ٢٠٤، ٢٠٥ عن الدكتور محمد عمارة، حيث نقل عنه قوله في كتابه: «الإسلام وقضايا العصر»: (إن كون الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع السماوية للبشر، إنما يعني بلوغ البشرية سن =

=الرشد، بما يعينه الرشد من رفع وصاية السماء عن البشر). اه.
وغير ذلك كثير مما ابتليت به الأمة في هذا العصر، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم.

ومعنى التلُّم في الإسلام: هو خروج أناس إلى البدع والأهواء، فتتلَّم
السُّنّة في نقوس المسلمين، فيقل العمل بها في واقع المسلمين.

يقول د. ناصر العقل: (ويدخل في معنى قول ابن مسعود ﷺ: (ثم يحدث
أقوام يقيسون الأمور بآرائهم): الذين أخذوا العلم الشرعي من أهل
زماننا، ولكن أخذوه على غير أصول صحيحة، وعلى غير مناهج سليمة
فصاروا إن أفتوا أفتوا بغير علم، وصاروا لا ينفعون أنفسهم بعلمهم ولا
ينفعون غيرهم). اه.

وفي ضمن هذا تبيه إلى وجوب التزام منهج أهل السُّنّة والجماعة، وأن من
أسباب خروج كثير من المسلمين عن السُّنّة، ومقتضى الإسلام: إحداث
مناهج في الدين متبعها الرأي، مما كان ذلك سبباً في هدم الإسلام وتلُّمه.



باب تفسير الإسلام^(١)

وقول الله تعالى: «فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ

اتَّبَعَنِي^(٢)» [آل عمران: ٢٠]

(١) بعد أن بين الشيخ المجدد رحمه الله فضل الإسلام، وبين وجوب الدخول في الإسلام، والأصول العامة للالتزام الإسلام، وما يجب الدخول فيه من حيث القواعد الكلية التي تشمل الاتباع والتلقى، ومفارقة أهل الجاهلية، والاستقامة، أراد هنا أن يفسر ويبيّن ما هو الإسلام الذي له هذا الفضل والذي يجب الدخول فيه، حتى لا يدعى مدعى أنه مسلم وهو في الحقيقة ليس بمسلم، أو يكون مسلماً ولكن ناقص الإسلام فليس الإسلام بالدعوى والاتئماء، ولكن الإسلام بالتمسك بالإسلام الحقيقي، فلا بد أن نعرف ما هو الإسلام من كلام الله تعالى، وكلام

رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

(٢) هذا فيه بيان الإسلام أنه إسلام الوجه لله، وإخلاص النية، والبراءة من الشرك. وعبر بالوجه لفائدة عظيمة وهي: أن من أسلم الوجه فإنه لا يلتفت عن توجيه إليه أي التفات؛ لأن الوجه هو محل التركيز، ومحل الآلات ومحل الحواس، فإذا أسلم الوجه وتوجه به فإنه لا يلتفت بيده ولا بقلبه ولا بإرادته وقصده عن الله عز وجل.

= وهذه الآية نزلت في محاجة النصارى - وفد نجران - الذين قدموا على رسول الله ﷺ ليحاجوه في مسائل، فلما حاجوه بين الله تعالى أن الدين عنده هو الإسلام، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَيْسَ لَهُ إِلَّا سُلْطَنٌ وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ آل عمران: ۱۹.

ثم قال بعدها: ﴿فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يعني إن حاجوك في هذا الدين الذي هو الإسلام الذي لا يرضى الله تعالى إلا إيمانه وحاجوك في قبول ما عندهم من الدين المحرف فقل معلناً لهم: ﴿أَسْلَمَتْ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمَتْ وَجْهِي لِلَّهِ﴾: فيه أعظم الاستسلام لله جل وعلا، استسلام الوجه توجهاً وانقياداً وطاعة، واستسلام الجوارح في استعمالها فيما أمر الله جل وعلا به، واستسلام القلب في القصد والإرادة لا يلتفت عن الإخلاص، وعن طلب الله ﷺ أي التفات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: يشمل كل من اتبع الرسول ﷺ من عهد الصحابة ﷺ إلى قيام الساعة.

إذ لا يكون المرء مسلماً حتى يسلم وجهه لله تعالى، وذلك بالتوحيد ومتابعة الرسول ﷺ.

وفي الصحيح^(١) عن عمر بن الخطاب ، أن رسول الله ﷺ قال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)^(٢)

(١) أي في صحيح مسلم: ٨، وهو قطعة من حديث جبريل عليه السلام، وهو في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ آخر وهو: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان) [صحيح البخاري: ٨ - صحيح مسلم: ١٦ واللفظ لمسلم].

(٢) هذا الحديث دل على تفسير الإسلام بالعقيدة، ويأكّل أن الإسلام الأربع فاء الإسلام والإيمان واحد؛ لأن كلاً منها يحتاج إلى اعتقاد باطن وإلى عمل ظاهر، فلا يصح إسلام أحد إلا بإيمان، كما أنه لا يصح إيمان أحد إلا بإسلام.

قوله: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله): شهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحق إلا الله عز وجل.

وهذه الشهادة تتضمن: الاعتقاد أولاً، والنطق ثانياً، وأن يعلم غيره - ثالثاً - بما دلت عليه هذه الشهادة، وأنه يعتقد ذلك، فلا يعذر أحد في الجمع بين =

= هذه الثلث إلا المكره والمستخفى بدينه.

وعلى هذا دارت تفاسير السلف في الجمع بين هذه المعاني الثلاث، كما في قوله تعالى: ﴿ شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِلُوا بِالْقِسْطِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

وقد أخطأ طائفة من الناس يفسرون الألوهية بالربوبية فيقولون: لا إله إلا الله: معناها لا خالق إلا الله، أو لا حاكم إلا الله. أو يقولون: إن الإله هو قادر على الاختراع، وغير ذلك، وهذا كله باطل، وهذا من أقوال المعتلة، والأشاعرة والمتكلمين، فينبغي التنبيه لهذا.

وقوله ﷺ: (وأن تشهد أن محمداً رسول الله): معنى شهادة أن محمداً رسول الله هو طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

فالشهادتان هما رأس الإسلام، وهما الركن الذي يفرق به بين المسلم والكافر، فتحقيق الإسلام متوقف على الإتيان بالشهادتين وتحقيقهما.

وقوله ﷺ: (وتقييم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً): هذه هي الأركان الأربع العاملية الظاهرة التي أجمع جمهور العلماء على أن من ترك هذه الأركان جميعاً فإنه ليس بMuslim.

وقد نقل الحافظ ابن رجب في كتابه [جامع العلوم والحكم ص ١٤٧] عن =

وفيه^(١) عن أبي هريرة رض مرفوعاً: (المسلم من سلم المسلمين
من لسانه ويده)^(٢)

=عبدالله بن شقيق أنه قال: (كان أصحاب رسول الله صل لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر غير الصلاة) وبين بعد ذلك أن هذا هو الذي عليه جمهور أهل الحديث، وأنه قد ذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمسة عمداً أنه كافر بذلك. اهـ.

وخلاصة القول: أن حديث عمر بن الخطاب رض بين أن القيام بغير أرض الدين هو الإسلام بمعناه الظاهر - أي فيما يظهر للناس - لأن إذ عان القلب شرط لصحة الإسلام، لكنه يخفى على الناس فيبقى المعنى الآخر لتفسير الإسلام وهو تفسيره بالأعمال الظاهرة، وهذا هو الجانب العملي للإسلام.

(١) أي في صحيح مسلم: ٤١ من رواية جابر بن عبد الله رض بهذا اللفظ.

(٢) هذا الحديث فيه ييان أن الإسلام ليس مقصوراً في الأركان الخمسة، بل هذه بثابة الأساس الذي يقوم عليه الإسلام، ثم يدخل في الإسلام كل الطاعات التي أمر الله بها وأمر بها رسوله صل، ومن هذه الطاعات ما هو واجب فتكمل الإسلام الكمال الواجب، ومنها ما هو مستحب فتكمل الإسلام الكمال المستحب.

ولهذا قال هنا: (المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده)، فالذى يكف=

=أذاء عن الناس فهذا مسلم كامل الإسلام، والذي يؤذى الناس بلسانه أو بيده هذا ناقص الإسلام.

وهنا ترد مسألة مهمة: هل الإسلام يزيد وينقص مثل الإيمان؟
والجواب: كما ذكر الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - : أن أكثر أهل السنة والجماعة على أن الإسلام مثل الإيمان يوصف بالزيادة والنقصان وذلك لأمور :

الأول: أن حقيقة الاستسلام يتفاوت الناس فيها:
أ) فهناك استسلام واجب لله تعالى بالتوحيد، وهذا الواجب من تركه يكفر، فلا يدخل في الدين أصلاً، أو يخرج من الدين.
ب) وهناك استسلام من تركه فقد قصر وأذنب، وهذا يتفاوت الناس فيه وهو استسلام من حيث الانقياد لله تعالى بالطاعة.

الثاني: أن شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي طاعة أمره، واجتناب نهيه وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وهذه الثلاث يتفاوت الناس فيها. بل حتى نفس التصديق للنبي ﷺ يتفاوت الناس فيه، مما يدل على أن الإسلام منه ما هو كامل، ومنه ما هو أدنى من ذلك.

الثالث: أن الإسلام فُسر بالأركان الخمسة جمِيعاً التي فيها أركان عملية كالصلوة والزكاة والصيام والحج، وجاءت أشياء أخرى في أحاديث أخرى كسلامة المسلم من اللسان واليد وغير ذلك، والناس يتفاوتون في ذلك.

= وقد نقل الإمام الأجري كلام حسن محمد بن علي رض وهو: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والإسلام لا يجوز أن يقال: يزيد وينقص. فقال الحق في تفصيل ذلك - نقاً عن ابن تيمية - : هذا على اعتبار أن الإسلام الكلمة كما صحَّ عن الزهري قوله: الإسلام الكلمة والإيمان العمل، بمعنى أنه بمجرد تلفظه بالشهادتين يأخذ حكم المسلم، فهذا لا يتصور فيه الزيادة والنقصان، وإن أردت بالإسلام فعل الواجبات الظاهرة كلها، فهذا يكون قابلاً للزيادة والنقصان كالإيمان

[[الشريعة ٥٩٣ / ٢]].

وهنا مسألة أخرى :

أن المسلم له صفات كثيرة جاءت بها الآيات والأحاديث، فلماذا حصر في هذا الحديث وصف المسلم بأنه من سلم المسلمين من لسانه ويده؟

الجواب من وجهين :

الوجه الأول: أنه رض وصف المسلم بهذا الوصف، لأجل قلة من يسلم المسلمون من مستهم - بالغيبة والنعيمة والقذف ونحو ذلك - وأيديهم - بالاعتداء على الأموال والأنفس ونحو ذلك - فهو نَبِهَ بهذه الخصلة على أن من أتى بها - وهم قلة - فهم أحرى بأن يأتوا بالخصال الأخرى من خصال الإسلام.

الوجه الثاني: أنه رض وصف المسلم بهذا الوصف لشدة الحاجة إليه

وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده أنه سأله رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتوادي الزكاة المفروضة) رواه

أحمد^(١)

= وللتتبّع على أن هذا الوصف واجب من واجبات الإسلام يجب تعاونه وقد جاءت الآيات في الحض على أن المسلم يجب أن يسلم المسلمين من لسانه، كقوله ﷺ: «وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» [الحجرات: ١٢]. وقوله ﷺ: «وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَتَى هُنَّ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَّخِذُ بَيْتَهُمْ» [الإسراء: ٥٣] ونحو ذلك.

وكذلك يسلمون من يده، كما جاء في حديث حجة الوداع: (إِن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا) اتفق عليه صحيح البخاري: ٦٧ - صحيح مسلم: ٤٣٦٠.

وهذا الحديث جاء في بيان حقوق المسلمين، وما سبق في بيان حق الله وحق الرسول ﷺ. فكان المصنف رحمه الله أراد أن ينبه على أن تحقيق الإسلام باجتماع أداء حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ، وحقوق العباد - حقوق المسلمين - أنه هو التفسير الكامل للإسلام.

(١) إسناده حسن، أخرجه الإمام أحمد في [المستند برقم ٢٠٠٢٢]، من روایة =

= أبي قزعة الباهلي ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه . وهذا الحديث فيه سؤال عن الإسلام بقوله : (ما الإسلام) ، وإذا كان السؤال عن الماهية يكون جوابه ركن فيما وقع السؤال عنه ، فدل ذلك على أن تفسير الإسلام المذكور في الحديث هو من أركان الإسلام ، وأنه من لم يتحققها فليس ب المسلم . وقوله ﷺ : (أن تسلم قلبك لله ، وأن تولي وجهك لله) : هاتان الكلمتان هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، ولكنها بعبارة أخرى تبين حقيقة هذه الشهادة فيما دلت عليه ظاهراً وباطناً .

- فأما ما دلت عليه حقيقة الشهادة باطناً فهو إسلام القلب لله تعالى ، كما قال ﷺ : (أن تسلم قلبك لله) فلا يكون القلب معظماً لأحد سوى الله وأن يستسلم القلب لله تعالى بالطاعة والانقياد ، وهذا من أركان الإسلام .

- وأما ما دلت عليه حقيقة الشهادة ظاهراً فهو أن لا يعبد إلا الله وحده وأن عبادة غيره باطل ، وهذا هو معنى قوله : (وأن تولي وجهك لله) يعني في أي عبادة ، وفي أي أمر يكون الرغب والرعب ، والملتجأ والاستغاثة بالله ^{عليك} وينجح الانقياد لله تعالى ظاهراً وباطناً في التوحيد وما يتعلق بنبذ الشرك ، فمن لم ينقد ظاهراً فهو مشرك ، وأما سائر الأحكام العملية كالصلوة والزكاة ونحوهما فهي من الطاعات التي إن خالف فيها ظاهراً مع انقياد القلب فإنه لا تكون مخالفة قادحة في أصل الإسلام ، ولكن ينقص من إسلامه بقدر مخالفته .

=

وعن أبي قلابة، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، أنه سأله رسول الله ﷺ: (ما الإسلام؟) قال: أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك^(١).....

= إذا تبين هذا، فمن أعظم ما يتحققه الإسلام، إسلام القلب لله جل وعلا =
 وإذا كان القلب مستسلماً لله تعالى فإنه ينشأ عن ذلك أنواع كثيرة من
 العبادات القلبية من الذل والخضوع والرغب والرعب، مما يجعل تحقيق
 الإسلام عند العبد أعظم وأجل، فيذعن العبد لجميع الأوامر، وينتهي عن
 جميع النواهي، وهذا كما قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمْ لَحْيَةٌ مِّنْ أَمْرِهِمْ﴾** [الأحزاب: ٣٦]، قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحُكُمُ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

- قوله ﷺ: (وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة): هنا من تفسير الإسلام، فأراد الإمام رحمه الله أن يقرر في تفسير الإسلام أن الإسلام بمعناه الشامل هو تسليم القلب والجوارح، وما يستتبع ذلك من ضرورة إقامة الفرائض من الصلاة والزكاة، وهذه الثلاثة من أهم أركان الإسلام.

(١) هذه الجملة مرت في الأحاديث السابقة، وهنا جمع ما بين حق الله تعالى وحق المؤمنين.

قال : أي الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان . قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ^(١) _(٢) .

(١) هذا هو الجانب العلمي للإسلام وهو جانب الاعتقاد . وهو دليل على أن الإسلام يشمل الدين كله ، هذا إذا ذكر وحده ، وإذا ذكر مع الإيمان فإنه يراد به الأعمال الظاهرة ، وأفضل الإسلام هو الإيمان كما جاء في هذا الحديث . ثم فسر الإيمان بأركان الإيمان الخمسة ، ولم يذكر الركن السادس وهو الإيمان بالقدر خيره وشره ، وذلك لأن القرآن الكريم ذكر هذه الأركان الخمسة دون القدر في آية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ بَعْدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] ، ذكر القدر منفصلاً في آية أخرى ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] وجاء ذكر الأركان الستة معاً في حديث جبريل عليه السلام .

ومراد المصنف بذكر هذه الأحاديث والآثار تحت باب (تفسير الإسلام) لبيان أن الإسلام يفسر بالإيمان ، وهو أفضل الإسلام ، ويفسر بالأركان الخمسة ، وأداء حقوق الله عبادة وعقيدة ، ويفسر بأداء حقوق العباد المؤمنين ، ويفسر بإسلام القلب لله انتقاداً وطاعة ، وهذه الأمور هي التي يدور عليها فلك الإسلام .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في [التمهيد ٩/٢٤٦] ، وفيه راوٍ لم يسمّ ، ومعناه صحيح ؛ حيث له شواهد في البخاري ومسلم وغيرهما .

باب قول الله تعالى :

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(١)

(١) هذا الباب فيه أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وقد استدل المصنف بِحَكْمَةِ اللَّهِ بهذه الآية في باب (وجوب الإسلام) على أن الدخول في الإسلام واجب، وهنا أراد أن يقرر باباً مستقلأً يبين فيه أنه كما أن الدخول في الإسلام واجب، فكذلك الخروج من الإسلام - سواء بالردة أو بإحداث البدع - لا يقبل من صاحبه. وقد مر معنا أن هذه الآية تشمل فترين من الناس :

الفئة الأولى :

فتنة غير المسلمين من أتباع الملل المختلفة، أنه لا يقبل منهم بعد بعثة محمد بِحَكْمَةِ اللَّهِ دينًا سوى الإسلام، حتى وإن كانوا على الدين الصحيح الذي جاء به أنبياؤهم.

الفئة الثانية :

فتنة المسلمين من هذه الأمة، الذين لم يأخذوا الإسلام كما جاء في الكتاب والسنّة، بل أحدثوا المحدثات وابتدعوا الضلالات، ويعظّون أنهم على حق وعلى خير وصواب، فهو لاء لا يقبل منهم ما جاءوا به؛ لأنه ليس على الإسلام الصحيح الذي أمروا به.

وعن أبي هريرة رض قال : قال رسول الله ص : (تجيء الأعمال يوم القيمة^(١) فتجيء الصلاة فتقول : يا رب أنا الصلاة . فيقول : إنك على خير . [فتجيء] الصدقة فتقول : يارب أنا الصدقة . فيقول : إنك على خير . ثم تجيء الصيام فيقول : يارب أنا الصيام . فيقول : إنك على خير . ثم تجيء الأعمال على ذلك . فيقول الله ع : إنك على خير^(٢)

(١) قوله ص : (تجيء الأعمال يوم القيمة) :

للعلماء فيها قولان :

القول الأول : أن المراد بـ تجيء الأعمال : مجيء ثواب الأعمال يوم القيمة والأجر الذي وضعه الله ع للأعمال .

القول الثاني : أن قوله ص : (تجيء الأعمال) المراد به مجئها حقيقة ، فالله تعالى قادر على جعل الأعمال تجيء حقيقة ، كما أنه يأتي القرآن يوم القيمة يُحاج عن أصحابه ، وكما أن الأعمال توزن في الميزان حقيقة وهذا هو الذي عليه المحققون من أهل السنة والجماعة في أن الأصل في الأمور الغيبية أن تُقر على ظاهرها ، وأن لا تؤول بتأويلات تصرفها عن ظاهرها .

(٢) قوله ص : (فتجيء الصلاة فتقول : يا رب أنا الصلاة.....) الخ : أي أن =

= جميع هذه الاعمال المذكورة تجيء يوم القيمة، وكل ي يريد أن يكون الوزن به، وأن يكون هو المعيار الذي يوزن به أعمال العبد.

وهذا فيه تقرير لمسألة مهمة وهي : أن هذه الاعمال يكون بينها وبين أصحابها محبة ومودة وألفة ، بحيث إن كل عمل صالح يريد للأصحاب الزلفي والنجاة.

وفي قوله تعالى لهذه العبادات : (إنك على خير) : فيه تنبية إلى حسن الأدب مع من رام شيئاً ولم يستحقه ، بأنه يشئ عليه ولا يهجن في قوله ، ولا يعطي أكثر من منزلته.

قوله ﷺ : (ثم يجيء الإسلام فيقول : يا رب أنت السلام ، وأنا الإسلام...) الخ الحديث.

(السلام) : اسم من أسماء الله ﷺ ، الذي من آثاره كل سلامة سلم بها العباد ، وكل أنواع السلامة في دينهم ودنياهم فيما دق أو جل من أمرهم إنما هي من آثار فيوضات الله عزّ وجلّ ، الذي هو السلام ﷺ ، وتقديست أسماؤه.

وبين اسم الله تعالى (السلام) واسم (الإسلام) مناسبة من جهة الاشتراك لأن الإسلام فيما يطلب السلام ، والسلام من أسماء الله فيه فيوضات السلام من جميع التواحي والجهات.

وفي هذا الدعاء من الإسلام : (اللهم أنت السلام وأنا الإسلام) : فيه تنبية =

= للعباد أن يكون دعاؤهم بالتوسل بأسماء الله تعالى المناسبة لمطالبهم؛ لأن العبد إذا وفق إلى هذا لا يكاد دعاؤه يُصرف بل يجات، كما أخبر بذلك الله تعالى فقال: ﴿وَلَلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله: (بك اليوم آخذ) : من الأخذ وهو العقوبة والعقاب.

وقوله: (وبك اليوم أعطي) : أي أتكرم وأتفضل، فدل ذلك على أن الله تعالى جعل الإسلام هو الميزان الذي يعقوب برتكه، ويكرم ويتفضل به. وإذا كان كذلك فإن تحقيق الإسلام هو أعظم أسباب النجاة ومن تخلف عن ذلك فهو مؤاخذ، وسيُردد عليه ما تعبد به مما ليس من الإسلام.

إذا تبين هذا فإن هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي تهز النفس والفؤاد والجوارح في لزوم الإسلام الصحيح وعدم مخالفته إلى غيره فالمسألة ليست مسألة عبادات من حيث هي فقط، وإنما المسألة مسألة تحقيق الإسلام.

لهذا ينبغي على الدعاة وطلبة العلم - كمنهج - أن يأخذوا بالإسلام في شموله في الدعوة، فلا يقتصر على جانب دون جانب آخر.

فحقيقة الإسلام الذي يجب أن يتخد منهاجاً للدعوة، هو الإسلام الذي يشمل جميع ما أمر الله تعالى به، وأمر به رسوله ﷺ أمر إيجاب، وجميع ما نهى الله تعالى عنه، ونهى عنه رسوله ﷺ نهي تحريم، ثم يأتي بعد =

ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطي.

قال الله تعالى في كتابه: «وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ إِلَّا سَلَمٌ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٨٥﴾» [آل عمران: ٨٥]، رواه أحمد^(١).

وفي الصحيح^(٢) عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال:

= ذلك المستحبات وغيرها من باب التبع.

وهذا هو المنهج الذي اتخذه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته حيث أخذ بما في هذه النصوص بمحاذيرها، ودعا إلى الإسلام كله: بأداء حقوق الله عَزَّ وَجَلَّ، وحقوق العباد، والأمر بالفراطض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالنصح للراعي والرعية، والقيام بالحقوق جميماً.

وهذا هو حقيقة الإسلام التي وعد الله سبحانه من أخذ بها بالنصر والتأييد مثل قوله تعالى: «إِنَّا لَنَصْرُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْآشْهَدُونَ ﴿٥١﴾» [غافر: ٥١].

(١) في المسند: ٨٧٤٢، وقال المحققون: إسناده ضعيف.

(٢) صحيح مسلم: ١٧١٨.

(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) ^(١) رواه أحمد ^(٢).

(١) أورد المصنف بِحَمْلِ اللَّهِ هذا الحديث هنا تحت باب قوله تعالى: «وَمَن يَتَّقَعِ غَيْرُ
الْإِسْلَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ» ليبين أنه يدخل في هذه الآية من أحدث في هذا
الدين ما ليس منه، سواء كان ذلك في العقائد أو في العبادات، فكل من
تعبد الله بعمل لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة فإن عمله مردود بنص
الآية والحديث، وصاحبها في الآخرة من الخاسرين.

ولابد من استحضار معانٍ مهمة في هذا الباب وهي:

١ - كمال الدين، وعلى هذا فلا يصح لأحد أن يدّعى في يوم من الأيام أن
الناس بحاجة إلى أمر يقررونه في العقيدة أو الأحكام دون مصادر الدين
الحقيقة.

٢ - أن هذا الدين باق ظاهر إلى يوم القيمة، فلا يجوز لأحد أن يدّعى في
يوم من الأيام أن هناك من أمور الدين وأصوله ما اندرس، أو يحتاج إلى أن
يبدل. نعم قد تخفى بعض السنن، لكن لا تخفى على عموم الأمة؛ لأنه لا
تزال طائفة من الأمة على الحق جملة وتفصيلاً.

٣ - لا يسوغ لأحد أن يدّعى أن الدين فقط هو نصوص الكتاب والسنة
لأن النصوص لا تصح بدون تفسيرها، وتفسيرها هو عمل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
و عمل الصحابة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و عمل التابعين وأئمة الهدى، وذلك سبيل =

= المؤمنين الذي توعد الله تعالى من خالفهم بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَسْعِغُ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلََّ مَنْ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 115].

(٢) في المسند: ٢٥١٢٨.



باب وجوب الاستغناء بمتابعته - يعني القرآن -^(١)

وقوله تعالى: «وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ»^(٢) [النحل: ٨٩]....

(١) يشير الشيخ رحمه الله بهذا الباب إلى أن من فضل الإسلام أنه كامل، وأنه يغنى عن أي حاجة إلى أي مبدأ، أو مذهب، أو ما يتدين به الناس، وهذا التبويب فيه دليل على وجوب الاكتفاء بالكتاب والسنّة عن كل ما سواه مما يريد العبد أن يطلب به المهدى أو العلم النافع. وذكرنا هنا السنّة لأنّه جاء في بعض النسخ (ومتابعته رحمه الله)، ولأنّ متابعة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه تدخل في متابعة الكتاب.

ومن نظر في حال أهل الإسلام اليوم الذين فارقوا الجماعة، وأنشأوا الفرق، وتبعوا الضلالات، يتبيّن له أن سبب ذلك هو أنّهم لم يستغفوا ولم يكتفوا بما جاء في الكتاب والسنّة وفي هدي الصحابة عن الكتب المختلفة والأراء العقلية والأقيسة، بل زهدوا في ذلك كله، وأخذوا يتلقّفون العلم من مصادر أخرى يظنّون أنّ فيها الهدى.

(٢) يقول ابن مسعود رض في تفسير هذه الآية: (قد بيّن لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء. فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهem ومعاشهem ومعادهم) [المصباح المنير ٥٨٧].

= – وفي قوله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ تِبَيَّنَأً لِكُلِّ شَيْءٍ » : خطاب للرسول ﷺ . وهذا فيه أن القرآن متصل غير مخلوق – كما تقول الجهمية – . – قوله تعالى : « تِبَيَّنَأً لِكُلِّ شَيْءٍ » : لا يشمل ما لا ينفع الناس في دينهم لأن القرآن لم ينزل لأمور الناس في دنياهم وإنما نزل للهداية ، لذا قال بعدها : « وَهُدًى وَرَحْمَةً وُشَرِّي لِلْمُسْلِمِينَ » [النحل : ٨٩] . وقال سبحانه : « إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ » [الإسراء : ٩] .

ف والله عَجَلَ جعل بحكمته الأشياء فيما حولنا على قسمين :

أ) أشياء يدخلها الهوى : وهو كل ما يتعلق بأمور الشبهات والشهوات.

ب) أشياء لا يدخلها الهوى : مثل أمور الحساب والهندسة ونحو ذلك من الأمور التي تسري فيها سنن الله جل وعلا.

ف والله عَجَلَ جعل القرآن هادياً للناس إلى الصراط المستقيم ، والطريق القويم الذي لا يلتبس فيما يدخله هوى الناس ، وهو الأمور العلمية والعملية التي يحتاجونها ، وأما الأمور التي لا يدخلها الهوى فالقرآن لم ينزل لأجل بيانها ، وللهذا يخاطئ من يجعل القرآن في العلوم كلها ، كما زعمت طائفة أن القرآن كتاب في الطبيعة ، وكتاب في الزراعة ، وكتاب في الهندسة ، وكتاب في الجبر ، ونحو ذلك يظنون أن هذا فيه رفع ل شأن القرآن ، وليس كذلك بل فيه إنزال من شأن القرآن ؛ لأن الله جل وعلا لم ينزل القرآن لذلك ولم يجعله كتاباً في الأمور الرياضية ، أو الطبيعية ، أو الهندسية ، أو إلى =

=آخره، وإنما جعله كتاب هداية فيما تدخل فيه أهواء الناس بتحريف مراد الله جل وعلا فيه.

فالقرآن إذاً تبيان لكل شيء ينفع العباد، ويحتاجون إليه، فيما قد يحرفوه بأهوائهم، أو قد لا يدركون الحق فيه مما ينفعهم في آخرتهم، أبانه الله تعالى بياناً شافياً، فكل ما يكون من قبيل الهدایة في الدنيا والآخرة فهو في القرآن وأما العلوم الأخرى فإنها لا تدخل في عموم قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ لعدم اشتتمالها على الهدایة في الطريق الذي يتبعه الناس.

وهنا قد ترد شبهة وهي:

هل يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة وأقوال الصحابة بنص هذه الآية؟

الجواب: لا يمكن الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة، ولا عن أقوال الصحابة، وذلك لأنه قد جاء الأمر في القرآن الكريم بوجوب طاعة الرسول ﷺ في أكثر من ثلاثين موضعاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]. وقوله تعالى: ﴿فُلِّ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حَمِلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمِلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَيِّنُ الْمُبِيِّنُ﴾ [النور: ٥٤].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (لعن الله الواشمات والتوصمات والمتهمات والمتعلقات للحسن المغيرات خلق الله. بلغ =

=ذلك امرأة من بنى أسد يُقال لها : أم يعقوب . فجاءت فقالت : إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال : وما لي لا أعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله . فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين ، فما وجدت فيه ما تقول ؟ قال : لئن كنت قرأته لقد وجديه . أما قرأت : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ أَرَسُولُ فَخْدُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنِهِ فَاتَّهُوَا ﴾ [الحشر : ٧] ، قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه) [صحيح البخاري : ٤٦٠٤ - صحيح مسلم : ٢١٢٥].

فاستدل ابن مسعود ﷺ بما جاء في السنة على أنه في القرآن ، وهذا استدلال أصولي عميق ، دل على أن الاستغناء بالقرآن يشتمل على الاستغناء بما دل عليه القرآن من متابعة النبي ﷺ .

- وكذلك أقوال الصحابة ﷺ ، فهي داخلة في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَسْعِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥].

- وكذلك الذين اتبعوهم بإحسان جاء النص عليهم في القرآن ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبه : ١٠٠].

وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الآية التي أوردها المصنف بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ دالة على الاستغناء بمتابعة القرآن والسنة وهدي السلف الصالح عن كل ما سواها .

روى النسائي^(١) وغيره^(٢) عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺ ورقة من التوراة فقال: (أمتهوكون يا ابن الخطاب، لقد جئتم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم)^(٣)

(١) لم أقف عليه في سنن النسائي الصغرى ولا الكبرى.

(٢) أخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند: ١٥١٥٦، وقال المحقق: إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد، وحسنه الشيخ الألباني بِحَمْلِ اللَّهِ [في إرواء الغليل: ١٥٨٩]، لكثرة الشواهد، وقد ذكر بعضها في [الإرواء].

(٣) قوله ﷺ: (أمتهوكون يا ابن الخطاب): أي امتحiron، معنى: هل أنت في حيرة، أو شك، أو ريب مما جئت به؟
- (لقد جئتم بها بيضاء نقية): لقد جئتم بالشريعة بيضاء نقية، لا يدخلها لبس، ولا تحريف.

- (لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم): وذلك لأن فترة موسى عليه السلام قد انتهت، وشريعته نُسخت بشرعية محمد ﷺ، فلا يجوز العمل بها؛ لأن رسالة محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات، ولأن نبوته هي خاتمة النبوات، وكتابه الذي هو القرآن هو خاتم الكتب، وهو المهيمن على كل كتاب.

وفي رواية^(١): (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي)، فقال عمر: (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبحمد نبأ^(٢)).

=قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَنَعَّ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

(١) هذه الرواية أخرجها ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة: [١١٥] بنحوه.

(٢) قوله ﴿ قُلْ يَنَاهَا النَّاسُ إِنِّي أَنْذِرْتُكُمْ جِئْنِي ﴾ [الأعراف: ١١٥٨]، بل تعم الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل الأنبياء: ١٠٧].

وهذا الحديث يدل على عدم جواز النظر في كتب الأنبياء السابقين، إما لأنها محرفة، أو لأنها منسوبة، أو للأمررين معاً. كما لا يجوز لأي أحد من الأنبياء - إن كان موجوداً بعد بعثة النبي ﷺ - أن يعمل بغير شريعة محمد ﷺ وقد أخذ الله ﷺ الميثاق على جميع الأنبياء بالإيمان بالنبي محمد =

وَمَنْ اتَّبَعَهُ، وَمِنْ مَنِ اتَّبَعَهُ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيقَاتَ النَّبِيِّنَ لِمَا ءاَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ قَالَ أَفَقَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴿ قَالُوا أَفَرَرْنَا ﴾ قَالَ فَآشْهِدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ أَلْعَمْنَانِ ﴾ [آل عمران: ٨١].

ولهذا عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بشرعية محمد عليهما السلام يحكم بالقرآن ويدع الإنجيل، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويأمر باتباع محمد عليهما السلام.

وهنا مسألة مهمة وهي:

هل النظر في التوراة محرّمٌ على الإطلاق أم لا؟

أن العلماء لهم قولان في النظر في التوراة:

القول الأول: أنه يحرم النظر في التوراة أو الإنجيل أو الزيبور مطلقاً، سواء أكان الناظر فيها عالماً أم ليس بعالماً، وهذا قول جمهرة كبيرة من أهل العلم.

القول الثاني: أنه حرم، ولكن ليس على إطلاقه، فيجوز لأهل العلم الموثوق بهم، والراسخين فيه أن ينظروا في التوراة لفرض إبطال دعوى اليهود أو النصارى، أو لنصرة الدين أو ما شابه ذلك في مسائل الدعوة إلى الله تبارك وجل وعلا والجهاد العلمي.

وهذا القول الثاني هو الذي اعتمدته كثير من أهل العلم، وألفوا كتبًا كثيرة في بيان بعض التحريرات التي اشتمل عليها الإنجيل والتوراة، بل كتب =

=شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً سماه [الجواب الصحيح لمن بدأ دين المسيح] فيه نقول كثيرة عن التوراة والإنجيل، وكتب تلميذه ابن القيم كتاباً سماه [هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى] نقل فيه كثيراً عن تلك الكتب وكذلك القرطبي، وغيره من العلماء نظروا في ذلك لغرض نصرة الشريعة.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أنه لا يجوز لأفراد الناس، وأحاد طلاب العلم أن ينظروا فيها، بل يحرم ويأثم من نظر فيها، ولكن إذا كان نظره نظر عالم راسخ في العلم لقصد الجهاد العلمي فإن هذا جائز.

وترد هنا مسألة أخرى مهمة أيضاً، وهي :

ما حكم الروايات الإسرائيلية الموجودة في بعض كتب التفسير لدينا مثل تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، والبغوي، وغيرهم؟
الجواب : ينقسم الأخذ بأقوال أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام :
الأول : ما علمنا صحته مما بآيدينا من القرآن والسنة ، فهذا القسم صحيح ، وفيما عندنا غنية عنه ، ولكن يجوز ذكره ، وروايته للاستشهاد به ، ولإقامة الحجة عليهم .

مثال ذلك : ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام ، وأنه الخضر ، فقد ورد في الحديث الصحيح ، وكذا ما يتعلق بالبشرة بالنبي صلوات الله عليه وسلم وبرسالته .

ودليل جواز روایته : ما ورد عن النبي صلوات الله عليه وسلم : (بلغوا عنی ولو آية =

= وحدثوا عنبني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعملًا فليتبوا
مقعده من النار) [صحيح البخاري: ٣٤٦١].

الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا
مقترناً بيبيان كذبه، وأنه مما حرفوه وبدلوه، كما أخبرنا الله تعالى عنهم
بقوله: ﴿خُرِفُوْنَ الْكَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ١٣]. أي أنهم يجعلون
للكلام الذي أراد الله تعالى معنى غير ما أراده الله ورسوله.

مثال ذلك: ما ذكروه في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام، وذكر في توراتهم المحرفة من أن النبي إسحاق
﴿لَيْسَ إِسْمَاعِيلَ﴾.

ومن الأدلة على النهي عن روايته: قول ابن عباس ﷺ: (يا معاشر
المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ
أحاديث، تقرؤونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتاب
الله وغيره وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثناً
قليلًا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم
رجلًا يسألكم عن الذي أنزل إليكم) [صحيح البخاري: ٦٩٢٩].

وقد قال الإمام مالك رحمه الله في حديث: (حدثوا عنبني إسرائيل ولا
حرج): (المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما عُلم
= كذبه فلا) [فتح الباري: ٦/٤٩٨].

= وكذلك حديث الباب دليل على النهي عن قراءة الكتب المقدمة.

الثالث : ما هو المسكون عنه ، لا من هذا ولا من ذاك ، فلا نؤمن به ولا نكتبه ، لاحتمال أن يكون حقاً فنكتبه ، أو باطلأ فنصدقه ، ويجوز روايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم .

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة ﷺ قال : (كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبواهم وقولوا : امنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) [صحيح البخاري : ٦٩٢٨].

ومع هذا فالأولى عدم ذكره ، وأن لا نضيع الوقت في الاشتغال به . [انظر هذا التقسيم في كتاب (الإسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير) د. محمد بن محمد أبو شهبة ص ١٠٦ ، ١٠٧ .]

يقول الشيخ صالح آل الشيخ معلقاً على سبب إيراد المصنف بِحَلْلِ اللَّهِ لحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحت هذا الباب : (ومراد إمام الدعوة بِحَلْلِ اللَّهِ من استدلاله بحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبين أن هذه التوراة أصلها كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ، لكن لما وقع فيها التحرير والتبدل ، وكنا مستغنين بالكتاب والسنّة فإن النظر فيها محروم بالرغم من أن أصل التوراة من عند الله عَزَّ وَجَلَّ ، فكيف إذاً الأمر بالنسبة إلى الكتب التي تتجهها عقول البشر مثل كتب الفلسفة ، والتصوف ، والزنادقة والمنطق ، وغيرها من كتب الأقوال المختلفة التي أضلّت الأمة وفرقتها =

= وأثرت في تفسير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فانصرف الناس عن تفاسير السلف، وشرح السنن المعتمدة إلى خواقوال الفلاسفة وأهل المنطق وأهل البدع، مما جعل الكتب الموروثة في هذه الأمة مشتملة على حق وباطل، وقلًّ من يميز ذلك.

ولهذا كان من المنهج الذي ورثه أئمة الإسلام من السلف الصالح أن يستغنو بالكتب النافعة عن الكتب التي اشتغلت على حق وباطل، وهذا واضح في تحذير أئمة أهل السنة والجماعة من كتب أهل البدع، ومن النظر فيها، بل أمروا بإحراقها بلا ضمان).

فقد ذكر الذهبي في [ميزان الاعتلال ١٦٥/٢] في ترجمة الحارث بن أسد الحاسبي : (رواية الحافظ سعيد بن عمرو البردعي قال : شهدت أبا زرعة وقد سُئل عن الحارث الحاسبي وكتبه ، فقال للسائل : إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغريك . قيل له : في هذه الكتب عبرة . فقال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أن سفيان ومالكا والأوزاعي صنفووا هذه الكتب في الخطرات والوساوس ، ما أسرع الناس إلى البدع).

وذكر ابن القيم في كتابه [الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية ص ٢٣٣] : (فصل : وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها ونقل عن المروزي : قلت لأحمد : استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة أترى أن أخرقه أو أحرقه ؟

= قال : نعم ، وقد رأى النبي ﷺ بيد عمر رضي الله عنه كتاباً اكتبه من التوراة وأعجبه موافقته للقرآن ، فتعمر وجه النبي ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التور فألقاه فيه ، فكيف لورأى النبي ﷺ ما صنف بعده من الكتب التي يعارض بعضها ما في القرآن والستة).

إذاً المنهج الصحيح أن يُربى الناس في الدعوة ، وأن يرشدوا إلى ما ينفعهم من العلم الذي يقابلون به الله سبحانه في الآخرة .
والعلم النافع ثلاثة أقسام كلها في القرآن ، كما وصفها ابن القيم رحمه الله بقوله :

- ❖ والعلم أقسام ثلاثة مالها من رابع والحق ذو تبيان
- ❖ علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للديان
- ❖ والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاذ الثاني
- ❖ والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المعموث بالفرقان جاءت عن المعموث بالفرقان



باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام^(١)

(١) أراد إمام الدعوة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في هذا الباب، أن يلفت النظر إلى أسباب حدوث الافتراق في هذه الأمة وعدم اجتماع الكلمة بين المسلمين، ألا وهي الأسماء والشعارات والألقاب، والتي قد تكون بالتعصب إلى بلد أو قبيلة، أو رجل، أو بالتعصب إلى فئة، أو حزب، أو جماعة، أو فرقة أو تكون بالتعصب إلى مذهب معين، فحدثت أسماء كثيرة في هذه الأمة مخالفة للأسماء الشرعية التي ذكرها الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في كتابه، أو ذكرها رسوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في سنته.

وما لا شك فيه أن التفرق في هذه الأسماء يوجب الفرقة في الأبدان ويوجب الفرقة في الأقوال، مما يعني أنه يحدث افتراقاً في الدين، وافتراقاً في الجماعة، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى، وحذر منه كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] أي لست منهم في أي خصلة؛ لأن أصل الدين هو الأمر بالاجتماع فيه، وعدم التفريق في المسائل العملية، هذا تبع فيه الدليل وهذا لا تبع، وكذا المسائل العلمية وهي مسائل العقيدة والتوحيد، فإذا حصل التفرق في الدين ترتب عليه الفرقة في الأبدان، ومن هنا نجد أن في نصوص الشريعة ثم تلازم بين لزوم السنة ولزوم الجماعة، فمن لزم السنة لزم الجماعة، كما أن من لوازم البدعة فرقة في الجماعة.

=

وقوله تعالى: «هُوَ سَمِنْكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَّفِي هَذَا»^(١) [الحج: ٢٧٨] ...

= وكذلك حذر النبي ﷺ من الفرقة، والتعصب للأسماء المحدثة – كما
سيأتي في هذا الباب – .

(١) قوله تعالى: «هُوَ سَمِنْكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَّفِي هَذَا».

على من يعود الضمير في قوله: «هُوَ»؟

- ذهب جمهور أهل التفسير على أن الضمير يرجع إلى رب العالمين، ويدل
على ذلك سياق الآية، فقد قال سبحانه في أولها: «وَجَاهُهُوا فِي اللَّهِ حَقًّا
جِهَادِهِ» هُوَ أَجْتَبَنَّكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ
هُوَ سَمِنْكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَّفِي هَذَا» [الحج: ٢٧٨]، فالله عَزَّلَ هو الذي لم
 يجعل لنا في الدين من حرج، وهو الذي خف عننا، وهذه هي ملة أبينا
إبراهيم ﷺ، فالله عَزَّلَ سمانا المسلمين «من قبل» أي في الكتب السابقة
«وَفِي هَذَا» أي في هذا القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ.

- وذهب قليل من أهل العلم، منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره
إلى أن الضمير في قوله: «هُوَ» يرجع إلى إبراهيم ﷺ، ولكن هذا ليس
بيحيد، بل هو أقرب إلى الغلط؛ لأن سياق الآية يدل على أن المراد بالضمير
«هُوَ» الله عَزَّلَهُ، وتقدست أسماؤه، وهذا ما رأجه الشيخ صالح آل الشيخ.

عن الحارث الأشعري رض عن النبي صل أنه قال ^(١): (أمركم بخمس الله أمرني بهن) ^(٢):

= قوله ع: «هُوَ سَمِّنْكُمُ الْمُسْلِمِينَ» : هذا هو الشاهد من الاستدلال بالآلية، وهو قوله: «هُوَ سَمِّنْكُمُ الْمُسْلِمِينَ» والله ع لم يسم أتباع الرسول محمد صل باسم إلا باسم الإسلام. ولذلك كان اسم المسلمين يختص بهذه الأمة، وأما اسم المؤمنين فقد يشمل كل مؤمن، ولا يختص بهذه الأمة من حيث الإطلاق.

ولهذا ينبغي المحافظة على هذا الاسم في كل مكان، لأنه تسمية الله تعالى فيجب على العباد أن يرضاها بتسمية الله جل وعلا لهم، لأنها أكرم تسمية وأعظم تسمية، فالسمى هو رب العالمين، فمن خرج عن تسمية رب العالمين لعباده فقد خرج عن ما رضيه الله جل وعلا لعباده المسلمين.

(١) هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، وجوامع الكلم التي اشتملت على كل المطالب الدينية التي تنفع العباد في دينهم ودنياهم، وفيما يصلح شأنهم في مجتمعهم في الدين وفي أمور الدنيا.

(٢) قوله: (أمركم بخمس الله أمرني بهن) : يفيد وجوب هذه المطالب وتخصيصها يدل على أنها من مطالب الإسلام العظام، ومن خصاله الجليلة التي فاقت غيرها من الأوامر.

= قوله : (يُخْمَس) : يدل على أنها مختارة ، وأن هذه الخمس أهم من غيرها مما يدخل في معناها.

وقوله : (الله أمرني بهن) : هذا يدل على أن النبي ﷺ إذا أمر بأمر فإما يبلغ رسالة الله جل وعلا ، فيأمر بما أمر الله ﷺ ، وينهى عما نهى الله ﷺ والسنة أخذ القرآن في أنها وحى من عند الله تعالى ، وهي بيان للقرآن وتفصيل لأحكامه.

وقد كان حسان بن عطيه رضي الله عنه يقول : (كان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل القرآن عليه ، يعلمه إياها كما يعلمه القرآن) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ٨٤].

وقد قال الله ﷺ : « وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا » [النساء: ١١٢] ، والحكمة هي السنة كما جاء تفسيرها عن الحسن في قوله : « وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ » [البقرة: ١٢٩] ، قال : « الْكِتَبَ » : القرآن و« وَالْحِكْمَةَ » : السنة [المصباح المنير ص ٨٥] وصح عن النبي ﷺ أنه قال : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) . [المستند: ١٧١٧٤] وإسناده صحيح.

فقوله ﷺ : (الله أمرني بهن) : فيه بيان أن أمر النبي ﷺ هو أمر من الله ﷺ ، كما أن فيه تأكيداً منه ﷺ بقوله : (الله أمرني بهن) ليلفت النظر إلى عظم هذه الأوامر وجلالتها ، كما أن فيه أيضاً تشويقاً لسماعها وبيان ما فيها.

السمع والطاعة^(١) ،

(١) قوله : (السمع والطاعة) : هذا هو الأمر الأول والثاني ، فجعل السمع واحداً ، والطاعة واحدة مع أنهما مقتننان من حيث الوجود – فمن سمع فقد أطاع ، ومن أطاع فقد سمع – وذلك لأن الحاجة إليهما معاً في الأمر متعلقة وعظيمة .

فالسمع والطاعة واجبان ، ويجتمع فيما ثلاثة حقوق :

- ١ - حق الله عَزَّلَهُ ، لأنَّهُ هو الذي أمر بذلك .
- ٢ - حق ولِي الأمر والنصح له ؛ لأنَّ هذا حق أحقه الله تعالى له ، وقد أمر سبحانه بِأداء الحقوق إلى أهلها .
- ٣ - حق المسلمين جميعاً ؛ لأنَّه من خرج عن السمع والطاعة ، فإنه لا يؤذِي ولِي الأمر فقط ، وإنما يؤذِي المسلمين جميعاً ؛ لما يترتب على عدم سمعه وطاعته من المفاسد .

إذا تبين هذا ، فإنَّ السمع والطاعة لولي الأمر مشروطة في النصوص بأنها سمع وطاعة في غير معصية ، وأما إذا أمر العبد بِمعصية فإنه لا سمع ولا طاعة ؛ لأنَّه حينئذ يكون ما أمر به مخالفًا لما أمر به الله عَزَّلَهُ ورسوله ﷺ وأمر الله تعالى هو المقدم ، وطاعة ولاة الأمر إنما تجب تبعًا لطاعة الله ولطاعة رسوله ﷺ ، ولا تجب استقلالاً ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ يَتَائِمُهَا الَّذِينَ إِمْتَنَوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْتُمْ مُنْكَرٌ ﴾ للنساء : ٥٩ .

والجهاد^(١) ،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وآخرون : كرر الفعل أطیعوا في قوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ لأن الله يعطى يطاع استقلالاً لحقه ، والرسول ﷺ أيضاً يطاع استقلالاً لحقه - يعني لا يعرض كلامه عليه الصلاة والسلام على القرآن - وأما ولـي الأمر فلم يكرر له الفعل (أطیعوا) قال : ﴿ وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ لأن طاعته تجب تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا تجب استقلالاً .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، من ذلك :

- عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (اسمعوا وأطیعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة) (صحيح البخاري : ٧٤٢).

- وعن وائل بن حجر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ ورجل سأله فقال : أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم؟ فقال رسول الله ﷺ : (اسمعوا وأطیعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)

لرواه مسلم : ١٨٤٦ . والترمذى : ٢١٩٩ . واللفظ له .

(١) قوله : (والجهاد) .

هذا هو الأمر الثالث : الجهاد ، المراد به هنا جهاد الأعداء .

= وجihad العدو على قسمين :

أ) جihad بالحججة والبيان.

ب) جihad بالسنن والسلاح.

فاما الأول : وهو جihad بالحججة والبيان : فهذا واجب مأمور به لكل من قدر عليه ، في كل زمان ، وفي كل مكان ، وفي كل حال بحسبه ، وقد أمر الله ﷺ به نبيه ﷺ في مكة قبل أن يشرع الجهاد بالسنن ، فقال تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهَدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. يعني جهادهم بالقرآن ، فهذا جهاد بالحججة والبيان.

وأما الثاني : وهو الجihad بالسنن والسلاح على قسمين :

١ - جهاد عيني.

٢ - جهاد كفائي.

والله ﷺ أمر بالجهاد - كما في هذا الحديث - وهو فرض عين على من تعين عليه ، وفرض كفاية على عموم الأمة ، ولكن على حسب الاستطاعة فإذا لم يكن عندهم استطاعة فإنهم يتظرون حتى يكون عندهم قوة ، فالنبي ﷺ مكتث في مكة بعدبعثة (١٣) سنة مقتضراً على الدعوة إلى الله ﷺ ، ولم يؤمر بالجهاد ؛ لأن المسلمين لا يقدرون في تلك الفترة على الجهاد ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وصار له أنصار وأعون فرض الله عليهم الجهاد ، لأنهم يقدرون عليه.

والهجرة^(١)

(١) قوله : (والهجرة).

هذا هو الأمر الرابع : الهجرة، وهي مأخوذة من الهرج، وهو الترك، قال تعالى : « وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ »^٥ للملدث : ٥، والرجز : الأصنام، وهجرها : تركها، وهذا معناها في اللغة.

أما في الشرع : فهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، فراراً بالدين.

والهجرة في النصوص قسمان :

القسم الأول : الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

القسم الثاني : الهجرة مما سوى الله تعالى إلى الله وحده.

فاما القسم الأول : وهو الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام : وذلك كهجرة الصحابة رض من مكة إلى الحبشة، ومن مكة إلى المدينة، فهذا النوع من الهجرة ينقسم إلى قسمين :

أ) هجرة خاصة : وهي من مكة إلى المدينة، وقد انتهت بفتح مكة، حيث قال النبي ﷺ بعد فتحها : (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية) لتفنن عليه، صحيح البخاري : ١٧٣٧ - صحيح مسلم : ١٣٥٣.

ب) هجرة عامة : وهي من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه باقية إلى قيام الساعة، وهي التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله : (لا تنتفع الهجرة حتى

= تنقطع التوبية ولا تنقطع التوبية حتى تطلع الشمس من مغربها) اصحیح سنن

أبي داود: ٢١٦٦.

واما الهجرة من حيث الحكم فتتقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - هجرة واجبة: وذلك إذا لم يستطع المسلم إظهار شعائر الإسلام، فيأثم إذا تركها شحناً بوطنه أو بماله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِيٍّ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَا كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَا جَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاؤِنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .

للنساء: ٩٧.

يقول الإمام الشوكاني: (استدل بهذه الآية على أن الهجرة واجبة على من كان بدار الشرك، أو بدار يعمل بمعاصي الله جهاراً، ولم يكن من المستضعفين) (فتح القدير: ١ / ٥٠٥).

٢ - هجرة مستحبة: وذلك لمن كان قادراً على إظهار دينه، فيستحب له الهجرة إلى بلاد المسلمين، لأجل أن يتمكن من جهاد الكفار، وتکثیر المسلمين، والخلص من الكفار ومخالطتهم، والدليل على عدم وجوب ذلك عليه قوله تعالى: ﴿يَعْبَادُونَ الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّ أَرْضَنِي وَسِعَةٌ فَلَيَنْتَهِ فَأَعْبُدُهُونِ﴾ .

للغنبوت: ٥٦.

٣ - من لا هجرة عليه: وهو العاجز عن الهجرة، إما لمرض أو إكراه على الإقامة فلم يستطع الخروج، أو ضعف من النساء والولدان وشبههم =

=فهؤلاء لا هجرة عليهم، لقوله تعالى: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» فَأَوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا» [النساء : ٩٨ - ٩٩].

ومن خلال بيان حكم الهجرة استخلص العلماء حكم السفر إلى بلاد الكفر، حيث تفرع الحكم في ذلك بحسب القصد:

أ) فإن كان القصد في السفر: طلب علم لا يوجد في بلاد المسلمين أو العلاج، أو الدعوة إلى الله، أو التجارة، فإنه يجوز السفر إليها والإقامة فيها للمصلحة المترتبة على ذلك، ولكن بثلاثة شروط:

١ - أن يكون عنده علم يمنعه من الشبهات.

٢ - أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

٣ - أن يتمكن من إظهار دينه، والقيام بعبادة ربه كما أمر الله تعالى.

ب) وإن كان القصد في السفر: النزهة والسياحة فالقول بالمنع أظهر؛ لأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبيلاً إلى إسقاط ذلك فإنه لا يجوز، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (أَنَا بِرِّيءٌ مَمْنُ يَقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُشْرِكِينَ لَا تَرَاءِي نَارَهُمَا) صصحه الألباني في [إرواء الغليل: ١٢٠٧].

فمن سافر من أجل السياحة فهو على خطر عظيم من وجوه:

١ - أنه خالف النصوص الدالة على وجوب الهجرة، وتحريم الإقامة عند=

= الكفار، ومن ذلك حديث سمرة ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله) حسنة الألباني في [السلسلة الصحيحة] : ٢٣٣٠.

٢ - فقد الغيرة عنده - وهذا شيء ملاحظ - فإن الإنسان إذا أقام في بلد تكثر فيه المعاصي فإن غيرته تضعف أو تموت بالكلية.

٣ - أن هذه الأسفار لا تسلم غالباً من الإسراف في المصارييف المالية، وهذا فيه إنعاش لاقتصادهم، وتقوية لهم. [انظر حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول ص ١٧٧ - ١٧٨].

وغير ذلك من المفاسد المترتبة على السفر إلى بلاد الكفر، سلمنا الله وإياكم من الفتنة.

- بل حتى الهجرة من البلد التي يكثر فيها المعاصي والبدع تدور بين الاستحباب والوجوب، فقد ذكر الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - عند شرحه لكتاب [الأصول الثلاثة]: (بأن البلد الذي يكثر فيها المعاصي والبدع ذكر الفقهاء أنه يستحب الهجرة منها، وقد هاجر جمع من أهل العلم من بغداد لما علا فيها صوت المعتزلة، وانتشرت المعاصي). اهـ.

وفصل الشيخ صالح آل الشيخ المسألة فقال: (وهكذا الحكم فيمن كان في دار البدعة، ولا يستطيع إظهار السنة والدين، فإنه يجب عليه أن ينتقل إلى دار السنة، وإن كان يستطيع إظهار السنة تصبح الهجرة بالنسبة له مستحبة وليس واجبة). اهـ. [من شريط فضل الإسلام].

والجماعة، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رقة الإسلام من عنقه إلا أن يُراجع^(١)،

=القسم الثاني : الهجرة مما سوى الله تعالى إلى الله وحده :
كما قال تعالى : « فَرِّوَا إِلَى اللَّهِ إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ » ﴿٥٠﴾ [الذاريات] :
وذلك بأن يهجر كل ما يشغل عن الله تعالى، ويتجه ويهاجر إلى الله تعالى.
ولهذا جاء في الحديث : (المهاجر من هجر ما نهى الله عنه) [صحيح البخاري]:
[١٠] ، وهذا يعم أشياء كثيرة تدل على أن حقيقة الهجرة هي هجر مالا يحب
الله تعالى إلى ما يحبه الله ويرضاه ، وهذه يختلف فيها الناس بحسب عظم
محبتهم لله جل وعلا ، ولرسوله ﷺ .

يقول الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - : (وهذه الهجرة مما سوى الله
جل وعلا إلى الله جل وعلا وحده تكون في الاعتقادات ، وفي عمل
القلب ، وفي كلام اللسان ، وفي استعمال الحواس والجوارح ، والأمر فيها
عصيب والفتن بعمومها إنما يبتلي الناس فيها في هذا المقام العظيم ، هل
هاجروا مما نهى الله جل وعلا عنه إلى ما أمر الله جل وعلا به أم أنهم
قصروا في ذلك ؟ والتقصير يكون سببه ضعف الحجة وضعف الإيمان ،
ويكون أصحابه من خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً). اهـ.

(١) قوله : (والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع رقة الإسلام =

= من عنقه إلا أن يراجع).

هذا هو الأمر الخامس : الجماعة، والمراد بالجماعة هنا جماعة المسلمين في أبدانهم، فلا يخرج عنهم ويفارقهم لما يتربى على ذلك من المفاسد التي نهى الله تعالى عنها.

وأصل الجماعة التي أمر الله بها يشمل الاجتماع في الدين والجماعة في البدن، وكل منها متعلق بالأخر، فمتى اجتمع الناس في دينهم حصل لهم الجماعة في أبدانهم، ومتى افترقوا في دينهم فإنه يحصل بينهم الفرقة في الأبدان والبغضاء والشحنة وكراهة بعضهم البعض.

والاجتماع في الدين يكون بسلوك طريق الجماعة الأولى، وهم جماعة الصحابة والتابعين، وتبع التابعين، الذين لم تظهر عليهم البدع ولم تفشو فيهم الأهواء، وإنما وُجدت وأنكرت، فمن لزم طريقهم فقد سلك طريق النجاة بيقين.

وهذا ما كان يحضر عليه ابن مسعود رض عندما كان يقول : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم، وكل بدعة ضلاله) إسناده صحيح : (الإبانة لابن بطة برقم

. [١٧٥]

وكان يقول أيضاً : (من كان منكم متأسياً، فليتأسس بأصحاب محمد ص فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقهم علماء، وأقلهم تكلاً

= وأقومهم هدياً، وأحسنهم حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على المهدى المستقيم) [شرح السنة للبغوي: ٢١٤ / ١]، وهو أثر لا بأس به.

ولهذا كان إبراهيم النخعي يقول: (لو أن أصحاب محمد ﷺ مسحوا على ظفر لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم) [إيابانة: ٣٦١ / ١].
وذلك لمعرفته بفضل الصحابة ﷺ، وتقديمهم على غيرهم في التأسي والاتباع للنبي ﷺ.

- قوله ﷺ: (إِنَّمَا يُرَاكِنُ إِلَى الْجَمَاعَةِ مَنْ يَرَى أَنَّ شَبَرَ قَدْ خَلَعَ رِيقَةَ إِسْلَامِهِ مِنْ عَنْقِهِ إِلَّا أَنْ يَرَجِعَ) : معناه أن من فارق جماعة المسلمين في الدين أو في الأبدان، فلم يدن بلزوم الجماعة، ولزوم طاعة الإمام، وعدم الخروج عليه والتوصيحة له، (قد شبر) : يعني بمسافة شبر، يعني جلس منفرداً عن الجماعة ولو شبراً واحداً بعيداً عنها (فقد خلع ريقة الإسلام من عنقه) وهذا من أحاديث الوعيد التي تمرّ كما جاءت، وفيها تهديد وتخويف للمسلم أن يفارق الجماعة.

مسألة: هل يفهم من قوله ﷺ: (فقد خلع ريقة الإسلام من عنقه) أنه كافر؟

المعتمد عند أهل السنة أنه لا يفهم من ذلك تكفيه، ولكن قد فعل أمراً عظيماً وجلاً أوجب أن خلع الإسلام - الذي يدعو إلى الاجتماع وعدم

ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جئن جهنم^(١) فقال رجل:
يارسول الله وإن صلى وصام؟

=الافتراق - من عنقه.

- قوله (إلا أن يراجع) : يعني إلا أن يتوب ؛ لأنه من تاب تاب الله عليه.

(١) قوله : (ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جئن جهنم) :
دعوى الجاهلية لها تفسيران : الأول : أنها كل خصلة من خصال الجاهلية
أبطلها الإسلام ، فيأتي أحد يدعو إليها كما جاء في الحديث في الأبواب
المتقدمة : (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية).

الثاني : أنه تسمى بأسماء الجاهلية التي كانت تدعوا إلى العصبية ، وأرجع
الناس إلى عصبيات الجاهلية ، وإلى فخرها بالأباء والقبائل ، ومثل هذا
يفرق الناس ، ولا يجمعهم على كلمة الإسلام ، واسم المسلمين والمؤمنين.
ويدخل في هذا الصنف أهل البدع الذين تبنوا آراء خارجة عن آراء الجماعة
في العقيدة.

وهذان الصنفان معاً توعدهم الرسول ﷺ بقوله : (إنه من جئن جهنم) :
مأخوذ من الجلو على الرُّكْب ، والمعنى أنهم من يُكبَّ في النار على وجهه
وعلى ركبته.

قال : (وإن صلی وصام فادعوی الله الذي سماکم المسلمين
والمؤمنین عباد الله^(١)) رواه أحمد والترمذی وقال : حديث حسن صحيح^(٢) .
وفي الصحيح^(٣) : (من فارق الجماعة شبراً فمات فميته جاهلية^(٤))

(١) قوله : (فقال رجل : يا رسول الله وإن صلی وصام ؟ قال : وإن صلی وصام ..) : وهذا يدل على عظم هذه الكبيرة ، وأن أصحابها متوعدون بأشد الوعيد ، والعياذ بالله.

(قادعوا بدعوى الله) : يعني تسموا بتسمية الله تعالى التي سماکم ، وهذه التسمية هي : (المسلمين والمؤمنین عباد الله) : يعني يا عباد الله ، فالله عَزَّلَ
سمى عباده (المسلمين) ، كما في قوله : هُوَ سَمِّنْتُكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي
هَذَا ﴿الحج: ٧٨﴾ ، وأيضاً سماهم (المؤمنین) ، كما في قوله : وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جِيئًا أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿التور: ٢٣﴾ ، فسماهم بهذين
الاسمين الشريفين الذي يجمع أعظم خصلتين وهما الإسلام والإيمان.

(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد : ١٧٨٠٠ ، والترمذی بتحقيق الألبانی : ٣٠٣٥

(٣) صحيح البخاري : ٦٤٦ - صحيح مسلم : ١٨٤٩

(٤) قوله ﴿الحج: ٧٨﴾ : (من فارق الجماعة قيد شبراً فمات فميته جاهلية) : صدر هذا الحديث قوله ﴿الحج: ٧٨﴾ : (من كره من أمیره شيئاً فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة ..) =

وفيه^(١): (أبدعواى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟^(٢))

=أ) فإذا نظرنا إلى هذا الحديث باعتبار صدره، دلّ على وجوب لزوم الجماعة، والبقاء على بيعة الإمام، وإن كان جائراً، مادام مسلماً، وطاعته تكون في غير معصية الله عَزَّوجَلَّ.

وقوله: (من فارق الجماعة.... فميته جاهلية) : يعني من فارق إمام المسلمين، وجماعة المسلمين فمات فإنه يموت ميتة جاهلية، كحال أهل الجاهلية الذين يموتون وليس في أعناقهم بيعة، والعلماء رحمهم الله يقولون: إن ما أضيف إلى الجاهلية فإنه يراد به الذم لهذا الفعل على اختلاف درجاته فقد يكون كفراً، وقد يكون معصية، ولكن في كل الأحوال فهو مذموم.

وكل عمل من أعمال الجاهلية فإنه خروج عن دعوى الإسلام.

ب) ولو نظرنا إلى هذا الحديث بقطع النظر عن جزئه الأول، وأخذنا بعموم اللفظ ، فإنه يحتمل أن من فارق الجماعة سواءً فارقهم باسم تسمى به غير جماعة المسلمين، أو خرج عليهم فقتل مؤمنهم، أو أنه خرج على إمامهم فكل هذا يدخل في قوله ﷺ: (من فارق الجماعة).

(١) في صحيح البخاري: ٤٦٢٢ . وصحيح مسلم: ٢٥٨٤ بنحوه، ليس فيه (أنا بين أظهركم).

(٢) قوله ﷺ: (أبدعواى الجاهلية وأنا بين أظهركم) : قال عليه الصلاة

قال أبو العباس : (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن، من نسب أو بلد أو جنس، أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية^(١) ،

= والسلام ذلك عندنا تخاصم غلامان، أحدهما من الأنصار، والآخر من المهاجرين، فقال الأنصاري : يا للأنصار. وقال المهاجري : يا للمهاجرين فاجتمعوا وكاد أن يكون بينهما مقتلة، فخرج النبي ﷺ وقال : (أبدعواي الجاهلية....) : يعني أبتسمية الجاهلية، ويسنة الجاهلية، وأنا لا أزال حياً بين أظهركم. وهذا فيه تغليظ وإنكار شديد على ذلك، كما يدل على أن الاسم إذا تعصب له فإنه مذموم، حتى ولو كان الاسم شرعاً، فكيف بالأسماء المحدثة؟!

فمن المعلوم أن اسم المهاجرين والأنصار من الأسماء المدوحة في القرآن الكريم، وكذا في السنة الشريفة، ولكن لما خرجت مخرج التعصب ذمها الرسول ﷺ وسماها (دعوى الجاهلية).

(١) قال أبو العباس - ابن تيمية - رحمه الله : (كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد..... فهو من عزاء الجاهلية) : يعني كل تسمية خرجت عما سمي الله جل وعلا بها عباده في القرآن الكريم، أو عن تسمية الإسلام :

= من نسب : أي ينتمي إلى قبيلة من القبائل يوالى ويعادي فيها ، بل ويظلم لأجل النسب ، ولا يقام لاسم الإسلام ما يستحقه مما أمر الله به.

أو بلد : أي أن تكون نسبة إلى بلد يوالى ويعادي عليه ، كما ينتمي مثلاً ويقال : مصرى ، شامي ، سعودي ، بخارى الخ.

أو جنس : يُوالى على جنس العرب فقط ، أو جنس العجم فقط ، ولا يقيم لاسم الإسلام ولا لدعوى الإسلام مقامها وهذا من القوميات التي انتشرت في الزمان الأخير.

أو مذهب : سواء كان المذهب عقدياً أو فقهياً أو سلوكيأ.

مذهبياً عقدياً : مثل المعتزلة والخوارج والمرجئة ، ونحو ذلك من المذاهب العقدية التي جاءت تسميتها بعد مضي الجماعة الأولى.

مذهبياً فقهياً : مثل المذاهب الأربعة [الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة].

مذهبياً سلوكياً : مثل مذاهب الصوفية وطرقها المختلفة كالشاذلية والحساصية والقاديرية والنقشبندية الخ.

فهذه كلها من النسب التي هي من عزاء الجاهلية إذا تجاوزت التعريف إلى اعتقاد صحة ما عليه أهلها في كل شيء.

أو طريقة : سواء كانت طريقة صوفية ، أو كانت طريقة دعوية ، أو كانت حزبية ، أو سياسية.

فإن هذا كله كان عند أهل الجاهلية ، فجاء الله تعالى بهذا الإسلام فأبطل =

= كل عزاء جاهلية إلا ما كان فيه اسم المسلمين والمؤمنين.

❖ وهذه التسميات الحادثة في هذه الأمة بأنواعها سواء كانت بنسب أو قبيلة أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فإنها على ثلاثة حالات :

الحالة الأولى : أن تكون مدوحة .

وذلك إذا كانت من التسميات التي تميز المسلمين بما نص في الكتاب والسنة على حسنها ، وعلى اعتباره .

- فالله تعالى سمي المسلمين باسم الإسلام والإيمان .

- وكذلك الوصف بأوصاف حسنة مثل : المتدين ، الأبرار ، وهذه أوصاف لاسم المسلم والمؤمن كل له نصيب بحسبه

- وكذلك ما جاء بالوصف كلزوم السنة والجماعة ، فاسم السنة والجماعة من الأسماء التي جاءت في الأحاديث وأصلها في القرآن .

ولهذا يُسمى خاصة أهل الإسلام : أهل السنة والجماعة ؛ لأنهم لزموا سنة النبي ﷺ ولزموا جماعة المسلمين ، والنبي ﷺ هو الذي أذن بهذه التسمية بقوله في حديث الافتراق : (وستفترق أمتي على ثلات وسبعين فرقاً كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي ؟ قال : هي الجماعة) وفي رواية : (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) ، وقال في حديث العرباض : (عليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) .

ولذلك أئمة السلف وأهل الحديث أقاموا لهذا الاسم مقام الأسماء =

=المحدثة، فلما تفرقت الأسماء وتعددت رجعوا إلى الاسم الذي يميز أهل الإسلام المتمسكون بالأمر الأول عما عداهم.

ولذا سموا المتمسكون بالأمر الأول : أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث وأهل الأثر، وأتباع السلف ، والسلفية ونحو ذلك، وهذه كلها في معنى واحد، لأنها ترجع بالأمر إلى ما كانت عليه الجماعة الأولى التي نص النبي ﷺ على أنها ناجية.

الحالة الثانية : أن تكون مذمومة.

وهذه مما حديث في الأمة من الأهواء المختلفة التي اتخذت لنفسها اسمًا يخالف الاسم الذي كان عليه الصحابة كالخوارج ، والمرجئة ، والمعزلة وأشباه ذلك.

وكل تسمية فيها إشارة لمنهاب يشتمل على باطل في العقيدة أو باطل في السلوك فإن التسمية في نفسها مذمومة ، ولو لم يقترن بها شيء آخر فكيف إذا اقترن بها التعصب ، أو افترضت بها بدعة أخرى ؟ !

ويدخل فيها الأسماء المحدثة للجماعات الإسلامية بأنواعها التي جعلت لها أسماء يصدق عليه أنه اسم لحزب يميز هذا الحزب عن غيره ، كحزب التحرير ، وحزب الإخوان المسلمين ، وجماعة التبليغ وغيرها ، وهذه تسميات محدثة وهي مذمومة ؛ لأن الاسم في نفسه مشتمل على دعوى تفرق المسلمين وتنصر من كان في هذا الحزب دون غيره.

بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري : يا للمهاجرين ،
وقال الأنصاري : يا للأنصار قال ﷺ : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين
أظهركم ؟) وغضب لذلك غضباً شديداً انتهى كلامه .

= الحالة الثالثة : أن تكون مباحة .

وهي الأسماء المحدثة للتعریف ، وليس للموالاة والمعاداة فيه أو للتعصب
عليه .

ف والله تعالى سمي المهاجرين مهاجرين ، وسمى الأنصار أنصاراً ، وصار هذا
الاسم باقياً عليهم ، كما نادى الرسول ﷺ قريشاً باسمها ، وكذا القبائل
وهذا كله للتعریف فلا حرج في ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول : « وَجَعَلْتُكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعَارَقُوا » [الحجرات : ١٣] .

وكذا النسبة إلى المذاهب الفقهية من باب التعریف .

والنسبة إلى البلد والإقلیم والجماعة ، مثل جماعة تحفیظ القرآن الكريم
كل هذا من التسمية المباحة إذا كان للتعریف . ولكن متى تحولت إلى تعصب
وموالاة ومعاداة فإنه يجب إبطال هذا التعصب وهذه الموالاة والرجوع إلى
الأصل في ذلك .



باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه^(١)

(١) لما ذكر في الباب المتقدم (باب وجوب الإسلام) ذكر هنا (باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه) ليبين أن الفضل الكامل للإسلام إنما يكون لمن دخل الإسلام ، وعمل بشرائعه ، وترك ما يخالف الإسلام فهذا هو الذي يتحقق له الفضل ، وهو الذي يجب على كل مسلم أن يفعله ، لا أن يأخذ بعضه ويترك بعضاً فمن فعل ذلك فهو كافر بالإسلام . قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرَّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا ۝ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ » [النساء : ١٥٠ - ١٥١].

وقال تعالى : « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرَقَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۝ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَنِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ » [البقرة : ٨٥].

فالذى يؤمن ببعض الإسلام ويكره ببعض هذا كافر بالجميع ، والواجب على كل مسلم أن يقبل الإسلام كله ، ويؤمن به كله ، ويعمل بما يستطيع منه ، أما أن يؤمن ببعض ويكره ببعض ، أو يأخذ منه ما وافق هواه ، ويترك ما خالف هواه ، هذا لا يجوز .

وقول الله تعالى: «يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَدْخُلُوا فِي الْسِّلْمِ كَافَةً»^(١)

[البقرة: ٢٠٨]

وقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزَعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَاتِلَكَ»^(٢) [النساء: ٦٠]

(١) قول الله تعالى: «يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَدْخُلُوا فِي الْسِّلْمِ كَافَةً».

المراد بالسلم: الإسلام، ومعنى كافة: جميماً، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، ولا تتركوا شيئاً منها. ومعلوم أن من شرائع الإسلام التي جاءت في الكتاب والسنّة أن الله تعالى أمرنا بترك ما سوى الإسلام سواءً من الكفر أو من البدع والمحظيات، أو من المعا�ي التي نهى الله جل وعلا عنها.

(٢) قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزَعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَاتِلَكَ»: هذه الآية في بيان أن من الدخول في الإسلام كافة تحكيم الشريعة، فإنه من أمور الإسلام، فالذي يريد أن يتحاكم إلى الطاغوت فإنه بفعله هذا قد ضلل ضلالاً بعيداً؛ لأنّه ترك شيئاً من شعائر الإسلام لم يعمل بها، وأراد غير الإسلام.

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما =

= قال : (كان أبو بردة الاسلامي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه، فتنافر إليه أناس من أسلم، فأنزل الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزَعُمُونَ﴾ ... الآية. اصحح الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم الهمالي : ٤١٨/١.

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : استفهام استنكاري .
وقوله سبحانه : ﴿يَزَعُمُونَ﴾ : دليل على أن دعوى الإيمان غير صحيحة ، فلا يجتمع الإيمان مع إرادة الحكم والتحاكم إلى الطاغوت ، فمن زعم أنه مؤمن ، واختار حكم الطاغوت على حكم الله فهو كاذب .
وقوله سبحانه : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الظُّنُوفِ﴾ [النساء: ٢٦٠] : يريدون مجرد نية أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، فكيف لو حكموا كان الأمر أشد .
إذا نوى بقلبه فهو ليس بمؤمن ، فكيف إذا نفذ هذا ؟!
لهذا وصفهم الله تعالى في آخر الآية بالضلال بعيد ، ومن وصف بالضلال لا شك أن عمله الذي استحق به هذا الوصف غير جائز . فالواجب عليهم أن يتركوا ما سوى الإسلام ، وأن يعملوا بشرائع الإسلام .

وإنما للفائدة نورد مسألتين مهمتين :

المسألة الأولى : الحكم بغير ما أنزل الله تعالى متى يكون كفراً اعتقادياً (أكبر) =
ومتى يكون كفراً عملياً (أصغر)؟

= ذكر الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالته [تحكيم القوانين :

ص ٨ - ٥]

- أن الحكم بغير ما أنزل الله تعالى يكون كفراً أكبر في ست حالات نوردها مختصرة كالتالي :

- ١ - إذا جحد الحاكم أحقيـة حـكم الله ورسـوله.
- ٢ - إذا اعتقدـ الحـاـكـمـ أـنـ حـكـمـ غـيـرـ اللهـ مـسـاـوـ لـحـكـمـ اللهـ.
- ٣ - إذا اعتقدـ الحـاـكـمـ أـنـ حـكـمـ غـيـرـ اللهـ أـفـضـلـ مـنـ حـكـمـ اللهـ.
- ٤ - إذا اعتقدـ الحـاـكـمـ أـنـ حـكـمـ غـيـرـ اللهـ لـيـسـ مـسـاـوـ لـحـكـمـ اللهـ، وـلـأـفـضـلـ مـنـ حـكـمـ اللهـ، وـلـكـنـ جـائـزـ.
- ٥ - تحـكـيمـ القـوـانـينـ الـوـضـعـيـةـ.
- ٦ - تحـكـيمـ سـلـومـ الـقـبـائـلـ.

- ويكونـ الحـكـمـ بـغـيـرـ ماـ أـنـزـلـ اللهـ كـفـرـأـ أـصـغـرـ : إذاـ حـكـمـ الحـاـكـمـ بـغـيـرـ ماـ أـنـزـلـ اللهـ معـ اـعـتـقـادـهـ أـنـ حـكـمـ اللهـ وـرـسـولـهـ هـوـ الـحـقـ، وـاعـتـرـافـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ بـالـخـطـأـ وـمـجـانـبـةـ الـمـهـدـيـ .

ثم قال : ولكنـ مـعـصـيـةـ سـمـاـهـاـ اللهـ تـعـالـىـ فـيـ كـتـابـهـ كـفـرـأـ أـعـظـمـ مـنـ مـعـصـيـةـ لـمـ يـسـمـهاـ كـفـرـأـ .

المـسـأـلةـ الثـانـيـةـ : مـسـأـلةـ الـحـكـمـ وـالـتـحـاـكـمـ إـلـىـ غـيـرـ شـرـعـ اللهـ، وـهـذـهـ لـهـ أـرـبـعـ حـالـاتـ ذـكـرـهـاـ الشـيـخـ صـالـحـ آلـ الشـيـخـ فـيـ كـتـابـهـ [الـتـهـيـيدـ شـرـحـ كـتـابـ]

=التوحيد ص ٢٤٩، ٢٥٠ أذكرها هنا باختصار كما يلي :

الحالة الأولى: حال المشرع، وهذا كافر، وكذا من أطاعه في تحليل الحرام وتحريم الحلال فقد اخذه رباً من دون الله.

الحالة الثانية: حال الحاكم بذلك التشريع : وهذا فيه تفصيل :
أ) من حكم مرة أو مرتين أو أكثر ، ولم يكن ديننا له ، وهو يعلم أنه عاص بتحكيم غير شرع الله ، فهذا لا يكفر إلا أن يستحل .

ب) من لا يحكم بشرع الله بتاتاً ، ويلزم الناس بغير شرع الله ، فحكمه على قولهن :

١ - لا يكفر حتى يستحل .

٢ - كافر؛ لأن مثل هذا لا يصدر في الواقع من قلب قد كفر بالطاغوت وهذا ما رجحه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وكذا صاحب (التمهيد) الشيخ صالح آل الشيخ .

الحالة الثالثة: حال المحاكمين : وهذا أيضاً فيه تفصيل :

أ) إن كان يريد التحاكم إلى الطاغوت ، وله رغبة في ذلك ، ولا يكره ذلك ، فهذا كافر .

ب) وإن كان لا يريد التحاكم ولا يرضاه ، وإنما أجبر عليه ، وكان الحق شرعاً له ، ولا يتوصل إليه إلا بالتحاكم إلى القانون ، جاز له التحاكم للوصول إلى حقه .

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَा لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ»^(١) [الأنعام: ١٥٩]

=الحالة الرابعة: حال الدول التي تحكم بغير شرع الله: وهذا بحسب ظهور

ذلك في الدولة أو خفائه:

أ) فإن كان الحكم بغير شرع الله خفياً نادراً، أو ظاهراً قليلاً وينكر فالدولة
دولة إسلام.

ب) وإن كان كثيراً فاشياً، فالدولة دولة كفر.

(١) قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَা»: هذه الآية تدل على ذم
أهل الأهواء من الكفار وأهل البدع الذين فرقوا دينهم شيئاً وأحزاباً
 فهولاء لم يدخلوا في الإسلام جميعه، وإنما اتبعوا أهواءهم، فأنكر الله عَزَّوجلَّ
عليهم وقال: «لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» يعني أن الرسول ﷺ بريء من هذا
لأن دين الله واحد، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَلْسِنَتُمُوهُمْ»
آل عمران: ١٩. وهذه الأمة أمة واحدة، كما قال تعالى: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَئِيسُكُمْ فَاقْتُلُوْهُنَّ» [الأنبياء: ١٩٢]، وفي الآية الأخرى:
«وَأَنَا رَئِيسُكُمْ فَاقْتُلُوْهُنَّ» [المؤمنون: ٥٢]. وحزب واحد، كما قال سبحانه:
«أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [المجادلة: ٢٢].

قال ابن عباس في قوله تعالى: «يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ» ... الآية آل عمران: ٦١٠٦، تبييض وجوه أهل السنة والائلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف ^{(١) (٢)}.

= وصراط الله واحد، كما قال تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَعِيُوا أَلْسِنَلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» [الأنعام: ١٥٣].
وإن ما يحصل الآن من انقسام المسلمين إلى جماعات وأحزاب، كل يدعوا إلى جماعته وحزبه، ويضلل الأحزاب الأخرى ويتناقضون هذا لا يجوز بين المسلمين، بل هو من أمور الجاهلية، فالمسلمون يد واحدة، وجماعة واحدة وحزب واحد، وإذا اختلفوا رجعوا إلى الكتاب والسنة كما أمرهم الله تعالى: «فَإِن تَنْزَعُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩]، فمن كان معه الصواب رجعنا معه، ومن كان على خطأ يرجع عن خطأه، ولا يتغصب لرأيه، أو حزبه، أو جماعته.

(١) قال ابن عباس في قوله: «يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسُودُ وُجُوهٌ» تبييض وجوه أهل السنة والائلاف وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف: في هذه الآية التي أوردتها ابن عباس شاء ووعيد: شاء على أهل السنة =

= والائتلاف، الذين اجتمعوا على الحق وكانوا جماعة واحدة قائمة على الكتاب والسنة، ووعيد على أهل البدع والاختلاف، ثم بين مآل كل فريق.

فقال في أهل السنة : هُوَ أَمَّا الَّذِينَ آتَيْتَنَّهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴿١٠٧﴾ آل عمران : ١٠٧.

وقال في أهل البدع : فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ آل عمران : ١٠٦.

وأهل العلم يستدللون بما نزل في الكفر الأكبر على الكفر الأصغر أو على المعاصي والبدع.

وهذه الآية ظاهرة الدلالة على وجوب الدخول في الإسلام كله، لأن الله تعالى ذم أهل البدع والاختلاف، لأنهم لم يلتزموا بشعائر الإسلام، ولو التزموها لكانوا أهل سنة وائتلاف هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنهم لما لم يلتزموا شعائر الإسلام فإنهم لم يتركوا ما سوى الإسلام؛ لأن البدع والاختلاف ليس من الإسلام في شيء.

(٢) نقل ابن كثير رحمه الله قول ابن عباس رض في شرح الآية فقال : (يعني يوم القيمة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة) (تفسير ابن كثير : ١ / ٣٩٨).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم:
(ليأتين على أمتي ما أتى علىبني إسرائيل حذو النعل بالنعل
حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية [الكان] في أمتي من
يصنع ذلك، وإنبني إسرائيل [تفرقـت] على [اثنتين] وسبعين
ملة، وتفترق [أمتـي] على ثلاث وسبعين [ملة]، كلهم في النار إلا
ملة واحدة قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه
وأصحابي) ^(١)

(١) قوله صلوات الله عليه وسلم: (ليأتين على أمتي ما أتى علىبني إسرائيل....) هذا إخبار
معناه التحذير من هذا الذي سيقع في آخر الزمان من مشابهة هذه الأمة لبني
إسرائيل في التفرق والاختلاف، وإحداث المحدثات، وهذا خبر منه صلوات الله عليه وسلم
ليستفطن المسلمين، فيسدوـا كل ذريعة قد توصلهم إلى مشابهة الأمم
السابقة.

— قوله: (حذو النعل بالنـعل): أي عند المشي تكون إحداهما حذـو
الأخرى أي مقابلة لها. أو حذـو النـعل بالنـعل: مـأخوذ من الحذـو وهو
القطع، لأنـهم إذا أرادـوا صـنع النـعال فإـنـهم يـقطـعون الجـلـود، ويـقيـسـون
بعضـه على بعضـ، والمـراد من هـذا مـاـثـلة هـذه الأـمـة لـبني إـسرـائـيل في
المـحدثـات.

وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصاً قوله: (ما أنا عليه وأصحابي). يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة^(١). رواه الترمذى^(٢).

= قوله: (حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك) : هذا مبالغة في التشبيه بهم، فبين أن مماثلة هذه الأمة لبني إسرائيل شديدة. وفي الحديث الآخر: (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وهذا فيه التحذير من التشبيه باليهود والنصارى، وأنه خطير عظيم على المسلمين.

- قوله: (وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة...) في هذا إخبار منه ﷺ بافتراء أمتة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي التي بقيت على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ومن لم يكن كذلك فهو في النار، إما لکفره، وإما لضلاله، فليس كل الفرق كافرة، ولكن بعضها كافرة، وبعضها دون الكفر لكن كلها متوعدة بالنار، ولا نجاة من النار إلا باتباع الكتاب والسنّة ومنهج السلف الصالح.

(١) قوله: (وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله كلام الصادق الصدوق في هذا المقام، خصوصاً قوله: (ما أنا عليه وأصحابي): أي ليتأمل المؤمن =

= الناصح لنفسه كلام الرسول ﷺ الصادق فيما أخبر به ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ مُّوحَىٰ ۚ ﴾ [النجم: ٣ - ٤] ، الصدق عند الله تعالى وعند خلقه ، وأن ما قاله عليه الصلاة والسلام من أمر الافتراق لابد أن يحدث ، ولا نجاة منه إلا بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه . وهذا يستدعي منا أن نتعلم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة والعمل ، لأن النجاة متعلقة بهذا .

ثم قال : (يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة) : أي أن هذه الموعظة من النبي ﷺ إنما يعقلها أهل القلوب الحية ، الذين هم أهل الإيمان الصحيح .

يقول الشيخ صالح الفوزان : (فهذه الموعظة من الرسول ﷺ لو وافقت من القلوب حياة ، لكن للقلوب معها شأن بالاعتبار والامتثال ، والحرص على معرفة الحق والعمل به ، وألا يكون الإنسان إمعنة مع الناس أينما كانوا ، بل يكون مع الحق دائماً وأبداً ، ولا يقلد بغير هدى تقليد الأعمى ، بل عليه أن يعرف الحق أولاً ، ثم يعمل به ، ويدعوا إليه وهذا هو الواجب على كل مسلم ، أما أن تقول : دعوا الناس ، حرية الرأي ، الرأي والرأي الآخر ، لا تحجروا على الناس ، لا تضيقوا على الناس ، هذا كلام باطل ، هذا كلام أهل الضلال والعياذ بالله هذا مخالف لقول الرسول ﷺ ، الواجب أن ندعوا الناس إلى الصواب =

= وإلى الحق، لا نقر لهم على ضلالهم، وعلى ما هم عليه ونقول حرية الرأي. هذا ليس فيه حرية رأي، بل فيه الكتاب والسنة، لو كان فيه حرية رأي لما احتجنا إلى الكتب والرسل، بل كلُّ يتبَع رأيه ويتبَع عقله، فالرأي إذا خالف الوحي يجب أن يترك، وأما إذا وافق الوحي فالحمد لله.

يقول علي رض : (لو كان الدين بالرأي لكان أسلف الخف أولى بالمسح من أعلىه، وقد رأيت النبي ص يمسح أعلى الخف) فالدين ليس بالرأي بل بالاتباع). اهـ.

(٢) رواه الترمذى في سنته بإسناد حسن. [صحىح سنن الترمذى: ٢١٢٩].
وحدث الافتراق مرويًّا من طريق ثلاثة عشر صحابيًّا من أصحاب رسول الله ص، وأصحها حديث أبي هريرة رض الذي ذكره المؤلف وليس فيه ذكر النار، وهو قوله: (كلهم في النار) [صحىح سنن الترمذى: ٢١٢٨].

وأيضاً جاء في حديث معاوية بإسناد حسن - كما سيورد المؤلف رحمه الله - وجاء من حديث أبي أمامة بأسانيد حسنة، جاء في بعض ألفاظها: (الجماعة)، وفي بعضها: (ما أنا عليه وأصحابي) وفي بعضها: (السود الأعظم) وهذه الألفاظ الثلاثة كلها تدل على شيء واحد، وهو الاستمساك بما كان عليه النبي ص وأصحابه رض.

ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ وصححه، لكن ليس في ذكر النار^(١)، وهو في حديث معاوية عند أحمد وأبي داود^(٢) وفيه: (وإنه سيخرج من أمتي [أقوام تجاري] بهم تلك الأهواء كما يتجرى الكلبُ ب أصحابه، لا يقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)^(٣). وتقدم قوله: (ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية).....

(١) أي ليس فيه قوله ﷺ: (كلهم في النار) وهذا الحديث أخرجه الترمذى أيضاً في سنته [صحيح سنن الترمذى: ٢١٢٨].

(٢) انظر المسند: ١٦٩٣٧، وإسناده حسن، وسنن أبي داود برقم [٤٥٩٧] وإسناده حسن، وهو في صحيح سنن أبي داود برقم [٣٨٤٣].

(٣) قوله ﷺ: (أنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء...). نهى الله ﷺ عن اتباع الهوى فقال: ﴿أَرَيْتَ مَنِ اخْتَدَ إِلَهَهُ هَوَانَةٌ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اخْتَدَ إِلَهَهُ هَوَانَةٌ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فالذى يبلغه الحق ولا يتبعه، ولا يقبله هذا متبع لهواه، ويُعاقب بأن الله يختم على قلبه فلا يقبل الحق بعد ذلك عقوبة من الله، فاتباع الهوى شر =

=والواجب على المسلم أن يتبع الحق سواء وافق هواه أو خالقه، قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ الْأَسْمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وفي آخر الزمان تكثر الأهواء في الناس، (تجاري بهم): يعني أنها تدخل في عروقهم. (كما يتجاري الكلب): وهو مرض من عضة الكلب الذي يصيب بالسعار، ويسمى داء الكلب، فإذا عصبه الكلب فإن ريقه يدخل في جسم الإنسان، ويدخل في عروقه، ولا علاج له، ثم يموت في النهاية فكذلك الأهواء مثل داء الكلب تتجاري في الناس وهذا الأمر نشاهده الآن، والناس يتفرقون بالأهواء، ولا علاج لهم إلا بالاعتصام بالكتاب والسنّة، على فهم السلف الصالح.



باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر^(١)

(١) عقد الإمام رحمه الله هذا الباب تحذيراً من خطر البدعة وأنها أشد من كبائر الذنوب.

والبدعة لغة: الشيء المحدث على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى: «بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [البقرة: ١١٧]، أي أن الله خلق السموات والأرض من عدم، وأوجدهما على غير مثال سابق.

والبدعة شرعاً: إحداث شيء في الدين ليس له أصل من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

وقد أكمل الله تعالى لنا الدين قبل وفاة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، فقال عز من قائل: «الْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا» [النائحة: ٢٣]، فكل عبادة ليس عليها دليل من كتاب ولا سنة فهي مذمومة مردودة.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه. [صحيف البخاري: ٢٥٥٠، صحيح مسلم: ١٧١٨] وفي رواية مسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [صحيف مسلم: ١٧١٨].

والبدعة شر ولو حسن قصد فاعلها؛ لأن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: (إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها) =

= [صحيح مسلم : ٨٦٧]. فهذا دليل على أن البدعة شر لا خير فيه أبداً.
كما أنه ليس هناك بدعة حسنة كما يقول أهل البدع؛ لأن الرسول ﷺ قال : (وكل بدعة ضلاله) [صحيح مسلم : ٨٦٧]. فمن أتى بعبادة أو عمل يتقرب به إلى الله ، وليس له دليل من كتاب الله و لا سنة رسوله ﷺ فهو بدعة و ضلاله و شر ، وما حدثت بدعة إلا و رفع مثلها من السنة.
وقد اهتم العلماء بالتحذير من البدع ، وألفوا مؤلفات كثيرة في ذلك مثل:
كتاب [الاعتراض] للشاطبي ، و [البدع والنهي عنها] لابن وضاح
و [الباعث على إنكار البدع والحوادث] لأبي شامة ، وغيرها.
والذنوب تنقسم إلى قسمين :

أ) صغائر: جاء النهي عنها ، ولم يرتب عليها شيء مما ذكر في الكبيرة.
وقد ذكرت في القرآن باسم (اللهم) ، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَحَّدُوا
كَثِيرًا إِلَّا ثُمَّ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا أَلَّمَهُ﴾ [النجم: ٣٢].
ب) كبائر: كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا ، أو غضب ، أو وعيد
أو لعنة ، أو تبرؤ من فاعله.
وأكبر الكبائر: الشرك بالله تعالى ؛ لأن الله أخبر أنه لا يغفر لصاحبـه.
والكبائر التي دون الشرك تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر
له ، هذا إذا لم يتبع منها في الدنيا.
ومرتکب الكبيرة - دون الشرك - لا يکفر عند أهل السنة ، وإنما يكون =

نقوله **عَلَيْكَ** : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ »^(١) [النساء : ٤٨]

= ناقص الإيمان أو فاسقاً.

وأما عند الخوارج فهو كافر في الدنيا، وعند المعتزلة في منزلة بين المنزليتين

وأما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار عند الخوارج والمعتزلة.

والبدعة أشد من الكبائر من عدة وجوه :

الأول : أن البدعة إحداث في الدين لم يشرعه الله ، وصاحبها يظن أنها من الدين ، وأما مرتكب الكبيرة فلا يدعي أنها من الدين ، بل يعترف أنه عاصٍ ، ولكن قادته الشهوة فوق في المعصية .

الثاني : أن صاحب البدعة يرى أنه على حق ، وأن عمله صحيح ، ولذلك قلل أن يتوب ، بينما صاحب الكبيرة يعرف أنه مخطئ ، ويرجى أن يتوب .

الثالث : أن المبتدع يفتري على الله الكذب ، فيشرع مالم يشرعه الله **عَلَيْكَ** ولا رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ، بخلاف العاصي الذي يعرف أن فعله هذا حرام ، وأنه عاصي .

الرابع : أن المبتدع يقتدي به الناس ، ويتبعدون الله ببدعته ، وخصوصاً إذا كان عنده نصيباً من العلم ، وعنه عبادة وتقى وورع ، بخلاف العاصي فإن الناس يقتلونه ، ويذمونه ، ولا يقتدون به .

(١) وقوله **عَلَيْكَ** : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » =

= ذكر الإمام بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذه الآية تحت باب (ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر) ليتبه إلى أن البدعة قد تكون شركاً؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا معه غيره فقد أحذثوا في دين الله ما ليس منه. وهذا أعظم البدع لأنه شرع ديناً لم يأذن الله به، ولا يرضي به.

والبدعة الشركية تخرج من الدين، ولا يغفرها الله تعالى إلا بالتوبه فإذا مات عليها فهو مخلد في النار، ومن أمثلتها: دعاء غير الله تعالى والاستغاثة بالأموات، والذبح للقبور.

وعلى هذا يمكن تقسيم البدع - من حيث عظم الذنب - إلى ثلاث درجات:
١ - البدع المكفرة: وهي بدع الشرك، والبدع التي تخلي بأصول الإسلام الناقضة للدين، حتى ولو لم تكن شركاً مثل: إنكار المعلوم من الدين بالضرورة، أو الإعراض عن الدين بالكملية، حتى ولو لم يكن في ذلك شيء من الشرك الصريح فإنه يعد من البدع المكفرة.

٢ - البدع المغلظة: وهي من كبائر الذنوب، ومن أعظم الكبائر والبدع المغلظة، وهي الأكثر مما يقع فيه أهل البدع في العصور المتأخرة والتي منها الموالد البدعية، والبناء على القبور، واتخاذ المزارات والمشاهد، والتبرك بما لم يرد الشريع ببركته.

٣ - البدع الصغيرة: وهي التي يقع فيها أكثر جهله المتسبون إلى البدع - إذا لم يقعوا في كبائر البدع - وقد يقع فيها المتسببن إلى السنة مثل: التزام =

وقوله تعالى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضْلِلَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ»^(١) [الاتعام: ١٤٤]

وقوله تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضْلِلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَرْزُونَ»^(٢) [التحل: ٢٥]

= المسبحة عند التسبيح، وبعض التصرفات عند المأتم والجناز.

(١) قوله تعالى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضْلِلَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ» = الكذب على الله تعالى بباب واسع يدخل فيه التشريع بما لم يشرعه الله والابتداع في دين الله، ونسبة البدع إلى الشرع، وهذا داخل في الافتراء على الله تعالى بالكذب.

(٢) قوله تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضْلِلُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ»: أراد الإمام أن يبين أن صاحب البدعة يتحمل وزره ووزر من يقتدي به إلى يوم القيمة، لأنّه قدوة للناس فيتبعونه، خصوصاً إذا كان يدعو إلى البدعة ويحسنها، وكم من بدعة انتشرت في الناس وتوارثوها جيلاً بعد جيل بسبب المبتدع الأول الذي اخترعها فأخذ آثار كل من اتبعه.

ولهذا جاء في الحديث: (لا تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول

وفي الصحيح^(١) أنه ﷺ قال في الخوارج : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم) وفيه^(٢) أنه : (نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا)^(٣)

= كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل) متفق عليه . [صحيح البخاري :

. ٣١٥٧ ، صحيح مسلم : ١٦٧٧]

فكل من قتل نفساً بغير حق يلحق ابن آدم الأول كفل من دمه ، والعياذ بالله .

(١) صحيح البخاري : ٣٤١٥

(٢) لم أجده بهذا اللفظ ، وهو بمعناه في حديث عوف بن مالك الأشجعي وفيه : (وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم ، قال : قلنا يا رسول الله أ فلا تابن لهم عند ذلك ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة) [صحيح مسلم : ١٨٥٥]

(٣) ذكر حديث الأمر بقتل الخوارج مع حديث النهي عن قتل أمراء الجور دليل على فقه الإمام عليه السلام ودقة استبطاطه بعبارة وجيزة تشبه طريقة الإمام البخاري عليه السلام في تصنيفه لل الصحيح .

فسياقه لهذا الحديث على هذا الوجه والاختصار يقصد به أن البدعة أغلظ من كبائر الذنوب ، بدلليل أن النبي ﷺ أباح قتل الخوارج لبدعتهم ومع ذلك لم يجز قتل أمراء الجور ، لأن عملهم من جملة المعاصي ، وليس من =

= أنواع البدع.

والخوارج : هم الذين يخرجون على ولادة أمر المسلمين ، ويخلعون السمع والطاعة ، وينخرجون عليهم بالسيف ويکفرونهم ، ويستحلون دماءهم .

وقد أمر النبي ﷺ بقتلهم لکف شرهم ، والقضاء على بدعهم ؛ لأنه من أصول أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولادة أمور المسلمين ، لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة من حقن الدماء ، واجتماع الكلمة وإقامة الحدود فإذا انتقض الأمر ضاعت هذه المصالح ، وسفكت الدماء وانتهك الأعراض والأموال ، وعطلت الحدود... إلى غير ذلك .

فمن خرج عن هذا فقد ابتدع في دين الله ما ليس منه ، وإن كانوا يظنون أنهم ينكرون المنكر ، ويجاهدون في سبيل الله ؛ بل إن المنكر الذي ارتكبواه يخروجهم أشد من المنكر الذي يزعمون أن ولبي الأمر فعله ، أو أنه فعله بالفعل ، فالخروج عليه أشد مفسدة .

وخطر الخوارج ليس على ولادة الأمر فحسب ، بل كذلك على الأمة ، لذا فقد أمر النبي ﷺ بقتلهم ، وقد قاتلهم عليّ رضي الله عنه وقتل منهم مقتلة عظيمة يوم النهروان ، ولا يزال ولادة أمر المسلمين يقاتلونهم كلما ظهرت منهم طائفة ، كما جاء في الحديث : (كلما ظهر منهم قرن قطع) [اصحیح سنن

ابن ماجه : ١٤٤].

وأمراء الجور : يعني بهم الأمراء العصاة ، الذين معصيتهم دون الكفر ولو =

عن جرير بن عبد الله ﷺ أن رجلاً تصدق بصدقة، ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجراها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل

= كانوا فساقاً، فإنه لا تنخلع طاعتكم والسمع والطاعة لهم، وفسقهم ضرره عليهم، وأما الخروج فضرره على المسلمين، ولا شك أن المعصية ضرر ولكن الخروج علىولي الأمر، وشق عصا الطاعة أشد ضرراً من المعصية نفسها.

وفي قوله ﷺ: (ما صلوا): فيه دليل على مكانة الصلاة في الإسلام وأن من ترك الصلاة كفر، فالرسول ﷺ جعل الصلاة مانعة من القتل ومانعة من الخروج علىولي الأمر، وإن كان عنده مخالفات ومعاصي، فإنه يُصبر عليه، لما في ذلك من المصلحة العظيمة التي تربو على مفسدة معصيته في نفسه.

وأصل الحديث قوله ﷺ: (خيار أئمتك الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتك الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة) [صحيف مسلم: ١٨٥٥].

بِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ^(١)

(١) سبب هذا الحديث قصة: وهي أنه جاء قوم من مضر إلى النبي ﷺ وقد بدا عليهم الفقر وال الحاجة، فرقَ النبي ﷺ لهم لما رأى من حالهم وبؤسهم ثم نادى بالصلوة، وخطب وحث على الصدقة، ورغب فيها، فجاء رجلٌ معه صرة من الذهب كادت يده أن تعجز عنها، فوضعها بين يدي الرسول ﷺ فتهلل وجهه وسرّ سروراً عظيماً، وتتابع الناس في الصدقة حتى اجتمع كوم من الصدقات عند الرسول ﷺ فقال: (من سن في الإسلام سنة حسنة...). فهذا الحديث عام في كل من عمل خيراً واقتدى الناس به، وهو يمثل قاعدة عظيمة من قواعد الشرع.

ومعنى قوله: (من سن في الإسلام سنة حسنة): أي من أحيا سنة، وذلك لأن الصدقة سنة، وهذا الرجل أحياها وأتى بمال كثير، فالناس تابعوا من بعده، فكان هو السبب فله أجراً، وأجر من عمل بها، ولا يكون الفعل سنة حسنة إلا وقد جاء الأمر به في الشريعة؛ لأن الله قد أكمل لنا الدين.

ومعنى قوله: (ومن سن في الإسلام سنة سيئة): يعني من ابتدع بدعة وأحدث في الإسلام ما ليس منه. فمثل هذا يكون عليه وزرها ووزر من عمل بها. فهذا فيه تحذير من إحداث البدعة، وأن شرها لا يقتصر على من فعلها، بل يذهب قسط منها على من أحدث البدعة.

وهذا الحديث يقلبه أهل الأهواء في الاستدلال على مشروعية البدع، فمن =

رواہ مسلم ^(۱)

وله مثله من حديث أبي هريرة ^(۲) ولفظه: (من دعا إلى هدى...
ثم قال: من دعا إلى ضلاله ^(۳)).

=ابدأ صلاة أو تسبیحًا أو صدقة أو نحو ذلك مما لم يشرع بذلك داخل في
الحسنة - زعموا -

ولا شك أن ذلك قلب للحقائق، لأنه لو كان الأمر كذلك لما فرق الرسول
بین النوعین هذا أمر.

والأمر الآخر: أن السنة الحسنة لا يمكن أن تكون حسنة إلا إذا أقرها
الشرع، فإذا أقرها الشرع دل على أن ذلك مشروع.

(۱) في [صحیحه: ۱۰۱۷].

(۲) انظر [صحیح مسلم: ۲۶۷۴]، ولفظه: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر
مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى
ضلاله، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم
شيئاً).

(۳) قوله: (ومن دعا إلى هدى...): فيه فضل الدعوة إلى الله عَزَّلَهُ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأجر يحصل لمن فعل ذلك، ويحصل له
أجور كل من اقتدى به، وسار على منهجه إلى يوم القيمة.
=

=والله عَلَيْكَ يَقُولُ فِي بَيَانِ فَضْلِ الدَّاعِيَةِ : « وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مَمْنَ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ » افصلت : ٣٣. والدعوة هي سنة المصطفى ﷺ ، قال تعالى : « قُلْ هَنِئُوا سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَّا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِمُشْرِكٍ ﴿١٠٨﴾ » [يوسف : ١٠٨].
كما يتضمن الحديث التحذير من الدعوة إلى الضلال والبدع والمحدثات
وعبادة القبور والأضرحة ، والدعوة إلى التجديد في الدين - كما هو حاصل
الآن - والترغيب في البدع والمعاصي ، فهذا عليه إثم وإثم من اقتدي به
وسلك منهجه إلى يوم القيمة .
وهذا فيه تحذير من دعوة الضلال ، ويدخل فيه الدعوة إلى البدع ؛ لأن كل
بدعة ضلاله كما قال الرسول ﷺ .



باب ما جاء أن الله احتجز التوبية على صاحب البدعة^(١).....

(١) هذا كما سبق في بيان الوجوه التي تكون البدعة فيها شرًّا من الكبيرة، وهو أن صاحب البدعة لا يوفق للتوبة ويصر على بدعته – وهذا هو الغالب – بخلاف صاحب المعصية فإنه يعرف أنه مخطئ ومخالف، فسرعان ما يتوب لأنَّه يخاف من الله ويخشى من العقوبة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قول سفيان الثوري رحمه الله : (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، فإنَّ المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها) ثم فسره بقوله : (أنَّ المبتدع الذي يتَّخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرأه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأنَّ أول التوبة العلم بأنَّ فعله سيئ ليتوب منه، أوَّلَّ أنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله. فما دام يرى فعله حسناً وهو سيئ في نفس الأمر فإنَّه لا يتوب) [مجموع الفتاوى : ١٠ / ١٩].

وليس المقصود من هذا التبوب – الذي هو حديث في أصله كما سيأتي بيانه – أنَّ صاحب البدعة لو تاب أنَّ الله لا يتوب عليه، بل إنَّ الله يتوب على المشرك، ومن هو أعظم إثماً من صاحب البدعة، ولكنَّ المراد باحتجاز التوبة أنَّ الله تعالى لا يوقفه إليها، وذلك لأسباب منها :

أ) ما ظهر من مقتضى النصوص : (يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون) فيَّنَ هذا الحديث أنَّهم لا يرجعون عن =

= بدعهم إلى السنة، أي لا يوفقون إلى توبه كما ذكر الإمام أحمد
ابن حنبل.

ب) ما ظهر من مقتضى الواقع : فإنه يندر أن تجد صاحب بدعة يتوب
و خاصة دعوة البدع ، ورؤوسهم ، وأما الأتباع والمجح فهؤلاء ليس لهم
حكم ؛ لأنهم لم تؤصل في نفوسهم البدعة ، وتكون فطرتهم قابلة للحق
متى ما استمعوا للحق رجعوا إليه. ولذا لم نسمع في تاريخ أهل البدع
والأهواء من رجوع رؤوس البدع إلى الحق إلا عدداً لا يتجاوز العشرات
ـ إذا بالغنا في التمحص ـ وذلك مثل الأشعري ، والجويني ، والرازي
وأبو حامد الغزالى ، فهؤلاء من كبار أئمة أهل الكلام ومن المؤصلين
للبدع ، ولهم من العلم والفقه ما كان سبباً لتوبيتهم ، ولعل الله تعالى علم
صلاح نياتهم ، وتعظيمهم للعلم الشرعي فوقفهم إلى التوبة ، وقد بينَ
شيخ الإسلام بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إمكانية ذلك بقوله : (ولكن التوبة منه - المبتدع - ممكنة
وواعدة ، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق ، كما هدى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من
هدي من الكفار والمنافقين وطوابق من أهل البدع والضلال ، وهذا يكون
بأن يتبع من الحق ما علمه .

فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ، كما قال تعالى : «وَالَّذِينَ
آتَهُنَا زَادُهُمْ هُدًى وَءَانَتْهُمْ تَقْوَتْهُمْ » [١٧]. وكذلك من أعرض
عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه ، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال =

هذا مرويٌّ من حديث أنس^(١)، ومن مراasil الحسن^(٢)، وذكر ابن وضاح^(٣) عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأياً فتركه، فأتتني محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلاناً ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول، إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: (يمرون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه^(٤))

= حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: «فَلَمَّا زَاغَ أَزْغَاهُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ» [الصف: ٥] (التحفة العراقية في الأعمال

القلبية ص ٢٩٧ - ٢٩٩).

(١) أي الحديث: (إن الله احتجز التوبية على صاحب البدعة) رواه أنس . وقال الألباني: إسناده صحيح. [السلسلة الصحيحة: ١٦٢٠]. ولفظه في [السلسلة الصحيحة]: (إن الله احتجز التوبية عن صاحب كل بذلة).

(٢) أي الحسن البصري، والرواية في كتاب (البدع والنهي عنها) لابن وضاح ص ٦٢ ، بلفظ: (أبي الله لصاحب بذلة بتوبة).

(٣) في كتابه (البدع والنهي عنها) برقم ١٤٧ ، وإنسانده صحيح.

(٤) هذه القصة التي أوردها ابن وضاح في كتابه تدل على أن المبتدع لا يتوب وأنه لا يترك البدعة إلى سنة، بل إلى بذلة أخرى، ولذلك قال

وسائل احمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: (لا يوفق للتوبة)^(١).

=ابن سيرين : (انظر إلى ماذا يتحول) وهذا من فقه ابن سيرين بِسْمِ اللَّهِ إِذْ لَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْهُ أَنْ تَأْتِيَهُ تَابَةً مِنَ الْبَدْعَةِ، بَلْ تَوَقَّعَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْبَدْعَةِ إِلَى بَدْعَةً أَشَدَّ مِنْهَا، وَاسْتَشْهَدَ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ يُرْقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يُرْقَى السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُنَّ إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ دَلَائِلِ نَبُوَّتِهِ عِنْدَمَا ذَكَرَ هَذِهِ الْحَدِيثَ فِي الْخَوَارِجِ، فَوَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

(١) قوله: (وسائل احمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: (لا يوفق للتوبة):
وذلك لأن التوبة هي الرجوع عن البدعة، فهو لا لا يرجعون.
وهذا الأثر أورده محمد السفاريني في [اغذاء الألباب لشرح منظومة الاداب]
٤٨٣/٢ بلفظ: (سئل - الإمام أحمد - عن ما روي عن النبي ﷺ: (إن
الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة) وحجر التوبة أيس شعراه؟ قال
أحمد: لا يُوفق ولا يسر صاحب بدعة).



باب قول الله تعالى:

﴿يَتَأْهَلَ الْكِتَبِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾

قول الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلَ الْكِتَبِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ آل عمران: ٢٦٥ - إلى قوله -
﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) آل عمران: ٢٦٧.

(١) في هذه الآيات ينكر تبارك وتعالي على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل ﷺ، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما روى محمد بن إسحاق بن يسار، عن ابن عباس ﷺ قال: (اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرياً) فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلَ الْكِتَبِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي كيف تدعون إليها اليهود أنه كان يهودياً، وقد كان زمانه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى؟ وكيف تدعون إليها النصارى أنه كان نصرياً، وإنما حدثت النصرانية بعد زمانه بدهر؟ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿هَتَأْتُمْ هَتُولًا حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلَمَ تُحَاجُونَ﴾

=فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ[ۚ]... الآية. هذا إنكار على من يجاج فيما لا علم له به، فإن اليهود والنصارى تجاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تجاجوا فيما بأيديهم منه علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلالياتها، ولهذا قال تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

ثم قال تعالى: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَائِيًّا وَلَكِنَّ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا» : أي متحنفاً عن الشرك، قاصداً إلى الإيمان. مسلماً موحداً؛ لأن الإسلام هو التوحيد، وهو دين جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وإن اختلفت شرائعهم. فالإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه في كل وقت بحسبه، فالذين آمنوا بالتوراة وعملوا بها في وقتها مسلمون والذين آمنوا بالإنجيل وعملوا به في وقته مسلمون، والذين آمنوا بالقرآن وعملوا به مسلمون.

وقوله تعالى: «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» : تبرئة لإبراهيم ﷺ أن يكون على دين الشرك الذي عليه اليهود والنصارى وذلك لأنهم حرفوا التوراة والإنجيل، وأشركوا بالله، وعندهم كفريات ليست من دين إبراهيم ﷺ ولا من دين موسى ﷺ، ولا من دين عيسى ﷺ، ولا من دين جميع الأنبياء ﷺ، وإنما هم الذين ابتدعوها ونسبوها إلى أنبياء الله. لذا فقد =

وقوله: «وَمَن يَرْغُبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ» **وَلَقَدْ أَصْطَفَيْتَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّابِرِينَ** ﴿١٣٠﴾ ^(١) [البقرة: ١٣٠]

= بِرًا الله عَلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ من الشرك الذي عليه هؤلاء وأن العبرة ليست بالانتساب ولكن بالاتباع. لذا قال بعد هذه الآية: «إِنَّ أُولَئِنَاسٍ يَأْتِيُّونَهُمْ لِلَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ وَهُنَّا الَّذِي وَالَّذِي أَمْتَوْا وَاللهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

آل عمران: ١٦٨، [المصباح المنير ص ١٧٧ ، ١٧٨] - شرح فضل الإسلام للشيخ صالح الفوزان.

(١) قوله تعالى: «وَمَن يَرْغُبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ» .
يقول تبارك وتعالى ردًا على الكفار فيما ابتدعواه وأحدثوه من الشرك بالله المخالف ملة إبراهيم الخليل إمام الخلفاء فإنه جرد توحيد ربه تبارك وتعالى فلم يدع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبد سواه وخالف في ذلك سائر قومه، حتى تبراً من أبيه، فقال: «يَنْقُومُ لِنَفْرِي مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴿٢٩﴾ [الأنعام: ٧٨ - ٧٩] ، وقال تعالى: «وَإِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنِّي بَرَأَءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَ فِي إِنَّهُ سَهِيلِينَ

﴿٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] ، [المصباح المنير ص ٨٥].

و فيه حديث الخوارج، وقد تقدم^(١)

= ولهذا قال سبحانه : « وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ » : عن طريقه ومنهجه =
وملته ، وهي التوحيد والإخلاص لله تعالى « إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ » والسفه :
الخفة ، أي أنه سفيه في نفسه ، وهو يزعم أنه عاقل حكيم مدرك للأمور
فالذى يترك ملة إبراهيم عليه السلام هو السفيه . اشرح فضل الإسلام للشيخ صالح
الفوزان .

ثم قال : « وَلَقَدِ أَصْطَفَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » : أي
اخترنا إبراهيم عليه السلام في الدنيا للهداية والرشاد من حداة سنن إلى أن اخذه
الله خليلاً ، وهو في الآخرة من الصالحين السعداء . (المصباح المنير ص ٢٨٥)
وقد أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه الآيات هنا ليبين أن من
خصائص الإسلام أنه هو المهيمن ، وأنه هو الحنيفة ملة إبراهيم عليه السلام
وأنه وصية إبراهيم عليه السلام ، وأن من رغب عنه فقد وقع في السفه ، وأن من
فضل الإسلام أنه جمع خصائص ملة إبراهيم عليه السلام ، ومن ضمنها الديانات
التي جاءت بعده ، وأنه جاء عاماً لجميع البشرية .

(١) يقصد حديث : (يمرون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم لا
يعودون إليه) والمراد بيان أن هؤلاء - الخوارج - بالرغم من كثرة عبادتهم إلا
أن ذلك لم ينفعهم ، لأنه لا ينفع المرء إلا متابعة السنة ، وطريقة الرسول =

وفي [الصحيح]^(١) أنه ﷺ قال: (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي المتقون)^(٢).....

= وأصحابه في العقيدة والعمل، كما لم ينفع اليهود والنصارى انتسابهم إلى إبراهيم ﷺ، فالعبرة ليست بالانتساب، ولكن بالاتباع فقد كان منهج الخوارج الباطل سبباً في خروجهم من الإسلام لما استغنو عن متابعة الكتاب والسنة، واستندوا على عقولهم وآرائهم الفاسدة.

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والحديث موجود في صحيح البخاري: ٥٦٤٤، صحيح مسلم: ٢٠١٥ ولكن في آخره: (إنما ولبي الله وصالح المؤمنين).

(٢) قوله ﷺ: (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء...): فقوله: (بأولياء) من الولاية: وهي المحبة. وأما الولادة – بالكسر –: الملك والسلطة، فالرسول ﷺ يتبرأ من ليس على دين التوحيد، ولو كانوا من أقاربه في النسب كأبي لهب عم الرسول ﷺ، ويحب المتدين ولو لم يكونوا من أقاربه في النسب كسلمان الفارسي، وبلال بن رياح، وصهيب الرومي فقد كانوا موالي ومع ذلك صاروا من أقرب الناس وأحبابهم إلى الرسول ﷺ. إذاً ليست المسالة مسألة قرابة، ولا شرف للإنسان بقرباته من الرسول ﷺ بدون الدين، وأما إذا كان على دين الرسول ﷺ وقرباً له فقد اجتمع =

وفيه أيضاً^(١) عن أنس رض أن رسول الله ص ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا أكل اللحم، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال ص: (لكتني أقوم وأنام أصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٢)

= له شرفان: شرف الدين، وشرف القرابة.

وفي قوله ص: (إِنَّمَا أُولَئِي الْمُتَّقُونَ): إشارة إلى أنه من كمال الإسلام أنه يشتمل على صلاح القلوب، وصلاح الأعمال، فالإنسان لا ينال ولاءة الله بالدعوى، وإنما ينالها بالتقى والعمل الصالح.

(١) صحيح البخاري: ٤٧٧٦، صحيح مسلم: ١٤٠١.

(٢) هذا الحديث يتضمن عدة فوائد منها:

أ) التحذير من الغلو في العبادة، وقد حذر النبي ص من ذلك في أحاديث عدّة من ذلك قوله: (إِيَاكُمْ وَالْغَلُوُ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلْكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغَلُوِ فِي الدِّينِ) إسناده صحيح. (مسند الإمام أحمد: ١٨٥١)، فالوسطية في العبادة تعين المرء على المداومة والاستمرار، وأما إذا اشتد فيها فإنه يمل ويتركها، والقدوة الحسنة في العبادات هو رسولنا محمد ص، كما قال تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتْسُوَّهُ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ»

= الآخرين [الأحزاب: ٢١]، فلا يجوز العدول عن طريقة الرسول ﷺ.

ب) أن حسن نية المبتدع لا يجوز بدعته، فهو لاء الصحابة ﷺ لم يرد على أذهانهم مسألة الابتداع وإنما الذي ورد على أذهانهم صرحاً من خلال القصة أنهم أرادوا أن يعبدوا الله تعالى على أصول موجودة في الدين، لكن على غير ما أمر به الشرع تفصيلاً، ومع ذلك نهاهم الرسول ﷺ وشدد عليهم بقوله: (من رغب عن سنتي فليس مني).

ج) في هذه القصة دلالة على أن الدين يجب أن يؤخذ جملة وتفصيلاً، فلا يتعدى الله بصيام أو صلاة على غير وجه شرعي. ولا يتحقق الاتباع للرسول ﷺ إلا إذا كان العمل موافقاً للشرع في ستة أمور:

الأول: السبب: فإذا تعبد بعبادة بسبب غير شرعي، فهي بدعة مثل: إحياء ليلة الإسراء والمعراج.

الثاني: الجنس: فإذا تعبد العبد لله بعبادة لم يشرع جنسها، فهي غير مقبولة مثل: الأضحية بفرس.

الثالث: القدر: فلو زاد العبد في صلاته ركعة، فعمله مردود، وكذا الزيادة في الأذكار الشرعية، فلا بد من الوقوف على القدر المأمور به والتبعده.

الرابع: الكيفية: فلو نكسَّ إنسان في وضوئه، لم يقبل منه.

الخامس: الزمان: فلو ضحى المرء في شهر رجب، أو صام رمضان في =

فتأمل إذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمى فعله رغوباً عن السنة، فما ظنك بغير هذا من البدع، وما ظنك بغير الصحابة؟^(١).

=شهر شوال، لم يقبل منه.

السادس: المكان: بأن يقف في مني بدلاً من عرفة، فلا يقبل منه.

(١) قوله: (فتأمل إذا كان بعض الصحابة.... وما ظنك بغير الصحابة؟) أي إذا كان هؤلاء الصحابة ﷺ - وهم خير القرون - لما همّوا بهذه الهمة أنكر عليهم النبي ﷺ وغلظ عليهم وهم صحابة، فكيف بغيرهم من متأخري القرون الذين تجاوزوا الحدود في الغلو والتطرف، أو في التساهل والميوعة، فالدين هو الاعتدال والوسط، ودين الله جل وعلا وسط واعتدال وصراط مستقيم، ليس فيه مشقة على النفوس، ولا تساهل وضياع، وإنما دين سمح، كما قال سبحانه: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» الحج: ٧٨، قوله سبحانه: «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ» اللائدة: ٦، وهذه ملة نبينا محمد ﷺ في كل زمان ومكان، فلا يبقى الإنسان على الدين إلا بالاتباع، لأن من تساهل خرج عن الدين، ومن تشدد خرج عن الدين، ولا يثبت إلا إذا كان على الوسطية والاعتدال.



باب قول الله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَيْفَاً»

قول الله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَيْفَاً فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكُمْ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ^(١) [الروم: ٣٠]

(١) يظهر أن الإمام عقد هذا الباب ليبين أن فضل الإسلام لا يكون إلا من وجه
قلبه لله تعالى، ووحد قصده إليه وثبت على ذلك حتى يتوفاه الله تعالى.

- قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ»: أي أخلص عملك؛ لأن إقامة الوجه
وإسلام الوجه معناه: إخلاص العمل لله تعالى، كما قال تعالى: «بَلِّي مَنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَمَّا أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» [البقرة: ١١٢]، فمعنى:
«أَسْلَمَ وَجْهَهُ»: أي أخلص عمله من الشرك. «وَهُوَ مُحْسِنٌ»: متبع
للرسول ﷺ قد خلص عمله من البدع والمحاذفات، فإذا اجتمع هذان
الشريطان:

أ) الإخلاص لله في العمل.

ب) والاتباع للرسول ﷺ.

قبل هذا العمل.

- قوله تعالى: «لِلَّذِينَ»: أي الدين الذي أمرك الله به وهو عبادة الله تعالى.

= حده لا شريك له .

والدين هو التوحيد، والعمل، والصلوة، والصيام، وجميع ما شرعه الله من العبادات فهذا هو الدين .

- قوله : ﴿ حَنِيفًا ﴾ : الحنيف الم قبل على الله المعرض عما سواه .

- قوله : ﴿ فِطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ : أي أن الله جل وعلا فطر الناس على معرفته والإيمان به .

وقد حكى الحافظ ابن عبد البر أن المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل أن المراد بالفطرة في هذه الآية هي الإسلام . الاستذكار لابن عبد البر

.٣٨٠/٨

فالدين الحنيف هو الإسلام الذي فطر عليه الخلائق ، فلو خلّي بين العبد وبين نفسه ، وهو لم تتغير فطرته ، فإنه ينصرف إلى الإسلام ويكون قابلاً له ، مقرأً بربوبية الله عَزَّلَهُ ، ومؤمناً به ، ما لم يعترضه عارض يمنعه من الاستقامة على هذه الفطرة التي خلقه الله جل وعلا عليها ، مثل عارض تربية الوالدين له على المجوسية أو النصرانية أو اليهودية كما سيأتي .

- ثم قال : ﴿ لَا تَتَبَدِّلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ : لا أحد يخلق إنسان على الشرك أبداً بل الله عَزَّلَهُ خلقه على التوحيد ، وليس لأحد أن يغير الخلق ، بل يغير المخلوق ، ولهذا جاء في الحديث : (فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه كما تولد الشاة بهيمة جموع ، هل تحس فيها من جدعاء ؟) أي كالشاة الكاملة التي =

= تولد كاملة الخلقة، ثم أهلها يجدعونها، فيكسرن قرنيها أو يشقون أذنها، فيغيرونها بعد الخلق، فهم يغيرون المخلوق فقط.

- ثم قال سبحانه : « ذَلِكَ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْكُوهُ إِفْرَادٌ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَمَا هُوَ بِالْأَوْحَادِ إِلَّا عِبَادَةٌ مَا سِوَاهُ هُوَ الدِّينُ الْقِيمُ » وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، هو الدين القيم المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

- ثم قال : « وَلَنِكَ! أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » أي أن أكثر الناس يجهلون هذا الدين، ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من الإخلال بالدين والانحراف عنه وإلا فالدين قيم مستقيم، فإن حصل فيه انحراف فهو من تصرف الناس.

وقوله : « أَكْثَرُ » يدل على أنه لا يحتاج بالكثرة إن كانوا على خطأ، وإنما يُحتاج من كان على الحق وإن كان واحداً.

وهذا ما ذهب إليه ابن مسعود رض عندما سُئل عن الجماعة؟ قال : الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك). (شرح أصول اعتقاد أهل السنة

. ١٠٩ / ١

وقال الإمام السعدي في تفسيره لقوله تعالى : « وَإِن تُطِعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » [الأنعام: ١١٦] : (ودلت هذه الآية على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور لأن يكون غير حق. بل الواقع بخلاف ذلك ؛ فإن أهل الحق هم الأقلون =

وقوله تعالى: «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَيْهِ وَيَعْقُوبَ يَتَبَيَّنَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَ لِكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»^(١) [البقرة: ١٢٢]

= عدداً، الأعظمون - عند الله - قدرًا وأجرًا. بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل بالطرق الموصولة إليه) (تفسير السعدي: ٤٦٢ / ٢، ٤٦٣).

(١) قوله تعالى: «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنَيْهِ وَيَعْقُوبَ»: التوصية معناها: أن الموصي عند موته يوصي ذريته، أو من حوله بتقوى الله بعد موته. فالوصية في الأموال عند الفقهاء: الإذن بالتصريف فيها بعد الموت. والوصية في الدين: الحث على التمسك بالدين.

فهنا وصى إبراهيم ﷺ أبو الأنبياء بنيه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وكذا يعقوب عليهما السلام أبوبني إسرائيل وصى ذريته بكلمة التوحيد، وإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، والدين الحق.

وهكذا يجب على الوالد أن يربى أولاده على طاعة الله، وأن يوصيهم بالثبات على هذا الدين، والبقاء على التوحيد وهذا من حرص الآباء الكريمين - إبراهيم ويعقوب عليهما السلام - على ذريتهما.

- قوله: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنَ لِكُمُ الَّذِينَ»: أي اختار لكم التوحيد، لأنهم أولاد الأنبياء، فهم أولى بالتمسك بهذا الدين والحذر مما يخالفه من الشرك والبدع، لأن الإنسان عرضة للانحراف طالما هو على قيد الحياة.

وقوله تعالى: ﴿تُمْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) [النحل: ١٢٣]

= - قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ﴾: نهاهم أن يموتون على غير
الإسلام، بل يموتون وهم مستمسكون، بالدين و المسلمين لله بالتوحيد.
وفي هذا دليل على:

أ) أن الفضل - فضل الإسلام - لا يناله العبد إلا إذا عمل بالإسلام ثم مات
عليه، فمن عمل بالإسلام ثم مات على غيره لم ينل فضل الإسلام، وكذا
من كان مسلماً خالص الدين لله تعالى، ثم فعل بعد ذلك من القوادح التي
تقدح في دين الإسلام ومات عليها، فإنه لا ينال فضل الإسلام كاملاً.

ب) أن العبرة بالخواتيم، والإنسان بحسب ما يختتم له من خير أو شر، وقد جاء
في الحديث: (إِنْ أَحْدَكُمْ لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ يَنْهَا وَيَبْنُهَا إِلَّا
نَرَاعٌ، فَيُسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحْدَكُمْ
لِيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونَ يَنْهَا وَيَبْنُهَا إِلَّا نَرَاعٌ، فَيُسْبِقُ عَلَيْهِ
الْكِتَابُ فَيَعْمَلْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) متفق عليه. [صحيح البخاري: ٢٢٠٨،
صحيح مسلم: ١٢٦٤٣] فالإنسان يسأل الله تعالى حسن الخاتمة، ويعمل بالأسباب
التي تكون سبباً فيها، ويبتعد عن الأعمال التي تكون سبباً في سوء الخاتمة.

(١) قوله تعالى: ﴿تُمْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ هذا الأمر =

وعن ابن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال : (إن لكلنبي ولة من النبىين ، وأنا ولېي منهم أبي إبراهيم ، وخليل ربي) ^(١)

= مرتب على الآيتين السابقتين ، فالآية الأولى فيها أمر الله جل وعلا بإخلاص الدين لله ﷺ ، والآية الثانية فيها وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهم بتوحيد الله ، والموت عليه.

وهنا في هذه الآية من سورة النحل : أمر الله نبىه محمدًا ﷺ أن يكون متبعاً للة إبراهيم ﷺ . والأمر بالاتباع يقتضي اتباعه عليه الصلاة والسلام للة إبراهيم ﷺ طيلة حياته حتى يتوفاه الله . وهذا الأمر له ﷺ وأمته تبع له ؛ لأن يستقيموا على هذه الملة الخفيفه ويثبتوا عليها حتى الممات .

(١) هذا الحديث فيه الخبر بأن لكلنبي ولة : يعني أحباء من النبىين ، فالأنبياء يتولى بعضهم بعضاً بالمحبة والاقداء والاتباع ، فهم سلسلة واحدة من أولهم إلى آخرهم ، يبشر أولهم بآخرهم ، ويقتدي آخرهم بأولهم ويتابع بعضهم بعضاً . وأولى الناس بإبراهيم ﷺ هو نبىنا محمد ﷺ ، ولهذا قال : (أنا ولېي منهم أبي إبراهيم وخليل ربي) .

فقوله : (أبي إبراهيم) : لأن إبراهيم ﷺ هو أبو الأنبياء . فجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده هم من ذريته ، وإبراهيم هو أبو إسماعيل ﷺ =

ثم قرأ: ﴿إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ وَهَذَا الَّذِي وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) لآل عمران: ٢٦٨. رواه الترمذى^(٢)

=والذي هو أبو العرب. ولذا أجمع العلماء على أن إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو
أبو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ; لأن محدثاً من ذرية إسماعيل بن إبراهيم على نبينا
وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقوله: (خليل ربي): هذا وصف لإبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, والختلة هي خالص
المحبة، وهي لم تكن إلا لإبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ﴾:

فيه رد على اليهود والنصارى عندما زعموا أنهم على دين إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فيين الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية أن أولى الناس بإبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقربهم إليه هم الذين
اتبعوه من أمنته، ﴿وَهَذَا الَّذِي أَيَّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: أي
المؤمنون من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿وَاللَّهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: ينصرهم ويرؤيدهم
ويحدهم ويتولاهم ولائحة نصر وتأييد، وحفظ وإعانة فهذه ولادة خاصة
للمؤمنين. وهناك ولادة عامة لجميع الخلق بالرزق والملك والتلبيس، كما قال
تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَانُهُمُ الْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

(٢) في صحيح سنن الترمذى: ٢٣٩٤ ، ليس فيه (أبي).

وعن أبي هريرة (1) قال: قال رسول الله ص: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (2).

(1) هذا الحديث أخرجه مسلم في [صححه: ٢٥٦٤]، بلفظ (صوركم وأموالكم....).

(2) في هذا الحديث بيان أن العبرة ليست بالمظاهر، فالله تعالى لا ينظر إلى الأجسام وجمالها، ولا إلى كثرة الأموال والثروات وإنما ينظر إلى شيئين:
أ) القلوب.
ب) والأعمال.

- فإذا كانت القلوب مخلصة لله عَزَّوَجَلَّ.

- والأعمال مستقيمة على شرع الله تعالى.

فهذا الذي ينظر الله تعالى إليه نظر اعتبار وقبول ورحمة
إذاً هذا الحديث يدل على أمرين مهمين:

الأول: أن النظر من الله تعالى متعلق بالقلوب ثم الأعمال، لأن الأعمال
ثمرة الإيمان الذي هو في القلوب.

الثاني: أن العبد لا ينال فضل الإسلام إلا إذا كان قصده وعمله خالصاً
لوجه الله تعالى، وهذا يوافق قوله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّهِ حَنِيفًا».

ولهم^(١) عن ابن مسعود رض قال : قال رسول الله : (أنا فرطكم على الخوض وليرعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناؤلهم احتجبوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك)^(٢)

(١) أي للبخاري في صحيحه : ٦٢٠٥ ، ومسلم في صحيحه : ٢٢٩٧ ، بنحوه.

(٢) قوله رض : (وأنا فرطكم على الخوض) : الفَرَطُ هو الذي يسبق إلى الماء ليسقي قومه ، فالنبي ص يتقدم أصحابه ويكون سابقاً لهم على هذا الخوض . والخوض : هو حوض النبي ص الذي جاء في وصفه أن عرضه وطوله مسافة شهر ، وماءه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، وكizenه كعدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً ، ترد أمة محمد ص عليه وهم عطاش من شدة الحر وطول المقام ، فيأتون على الخوض فيسيقיהם النبي ص بيده ، إلا من كان قد غير دينه فإنه يُصرف عن الخوض . ثم قال : (وليرعن إلي رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناؤلهم احتجبوا دوني) : أي أن هؤلاء اقتطعوا من دونه ، ونزعوا دون أن يصلوا إلى النبي ص .

فيقول النبي ص : (أصحابي ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك) : وهذا فيه دليل على أن من ابتدع في دين الله وغيره فإنه لا يرد الخوض على =

=رسوله ﷺ، ولا يرده إلا أهل التوحيد لله، والاتباع للرسول ﷺ.

وهذا يتضمن التحذير من البدع والاخراف والتغيير في دين الله ﷺ، كما فيه الحث على التمسك بالدين الصحيح والثبات عليه، والصبر عليه حتى الموت، حتى يرد على النبي ﷺ ويشرب من حوضه.

وقد جاءت الروايات مختلفة في دفاع الرسول ﷺ عن المذادين عن الحوض، ففي هذه الرواية التي هنا قال: (أصحابي)، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم /١٢٢٩٤/: (أي رب مني ومن أمتي). وقد وجد الراضاة مدخلًا من هذه الأحاديث ليكفروا به جُلَّ الصحابة ﷺ، وأنهم قد ارتدوا وكفروا بعد وفاة الرسول ﷺ.

وقد جمع العلماء، ووفقاً بين هذه الأحاديث في بيان من هم المذادون عن الحوض، بعدة أقوال ذكرها الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث، حيث قال:

(هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال :

أحدها: أن المراد به المافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرفة والتحجيل - كما سيأتي في الحديث التالي - فینادیهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلاًوا بعدك أي لم يتوتا على ما ظهر من إسلامهم.

الثاني: أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده، فینادیهم النبي =

=، وإن لم يكن عليهم سيمما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعده.

والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبار الذين ماتوا على التوحيد وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا بيدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله ﷺ فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

ولهذا يقول الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: (كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج والرافض وسائر أصحاب الأهواء) قال: (وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، المعلنون بالكبار). قال: (وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا من عنوا بهذا الخبر) [شرح صحيح مسلم للنووي: ٥٣٣/١].

فائدة:

١ - جاء ذكر الحوض منفرداً في أحاديث عدة، من ذلك قوله ﷺ: (إن حوضي لأبعد من أيلة من عدن، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال، كما يندو الرجل الإبل الغريبة عن حوضه) قالوا: يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: نعم. تردون عليّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم) [صحيح مسلم: ٢٤٨].

٢ - كما جاء ذكر الكوثر منفرداً في أحاديث أخرى، من ذلك ما رواه أنس =

=، عن النبي ﷺ قال: (بينما أنا أسيء في الجنة إذا أنا بنهر حافته قباب الدر الم giof ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طينه ، أو طيء مسك أذفر) [صحيح البخاري : ٦٢١٠].

٣ - وجاء في بعض الأحاديث تفسير الكوثر بالخوض ، كما في حديث أنس قال: (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبعاً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليَّ آنفاً سورة ، فقرأ باسم الله الرحمن الرحيم: « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخْرُجْ ۝ إِنَّ شَانِقَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ » [الكوثر : ١ - ٣] ثم قال: أتلرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، قال: فإنه نهر وعدنيه ربِّي ﷺ عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيمة ، آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم ، فاقول: رب إله من أمتي ، فيقول: ما تدري ما أحذئتَ بعدك) [صحيح مسلم : ٤٠٠].

وهنا يرد إشكال وهو: هل الخوض هو الكوثر؟

و خاصة أن الخوض يزداد عنه بعض الناس ، والكوثر وصف بأنه نهر في الجنة ، ووصف أخرى بأنه الحوض ، فإذا كان الحوض في الجنة كيف يُزداد عنه الناس؟ وقد وفق الحافظ ابن كثير بين هذه الأحاديث ، بعد أن أورد بعض الأحاديث في إثبات الكوثر ، وأنه نهر في الجنة ، قال عن وجه الاتصال بينه وبين الحوض: (ومعنى ذلك أنه يشتبه من الكوثر ميزابان =

ولهمَا^(١) عن أبِي هريرة، أَن رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا)^(٢) قَالُوا: أَوْلَاسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟.....

= إلى الحوض، والحووض في العرصات قبل الصراط؛ لأنَّه يختلج عنه وينبع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط) (النهاية ٢٣١).

ويشهد لهذا حديث الرسول ﷺ عندما سئل عن شراب الحوض فقال: (أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يغُث في ميزابان يمداه من الجنة أحدهما من ذهب، والأخر من ورق) (صحيح مسلم: ٢٣٠١).
ويغُث في ميزابان: يدقان فيه الماء دفقةً متتابعةً دائماً. لانظر كتاب الغربيين في القرآن والحديث للهروي ١٣٦٠/٤.

وأما سبب إطلاق الكوثر على الحوض - كما في الحديث الثالث - فقد ذكره الحافظ ابن حجر في لفتح الباري ٤٦٦، ٤٦٧/١١ فقال: (الكوثر نهر داخل الجنة، وما يصب في الحوض، ويطلق على الحوض الكوثر، لكونه يُمد منه).

(١) أي صحيح البخاري: ولم أقف عليه فيه، وصحيح مسلم: ٢٤٩.

(٢) قوله ﷺ: (وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا): قال ذلك النبي ﷺ لما خرج إلى المقابر، وقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنما إن شاء الله بكم =

..... قال : أنتم أصحابي ، و إخوانى الذين لم يأتوا بعد^(١)

لأحقون، ثم قال: (وَدَدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْرَانَا): أي يتمنى النبي ﷺ أنه رأى إخوانه المؤمنين الذين لم يأتوا بعد في الدنيا - كما سيظهر من سياق الحديث -.

(١) فيقول له الصحابة: (أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي ولإخواني الذين لم يأتوا بعد): وصف الصحبة خاصًّا بن حبيب النبي ﷺ، وآمن به ومات على ذلك، وأما إخوانه: فهم من يأتي في آخر الزمان من أمته ويتباهى، مع ما بينهما من طول الزمان. فالصحابة لهم فضل الصحبة، وهؤلاء لهم فضل التمسك والاتباع، وهم لم يروا النبي ﷺ فكلُّ له فضيلة خاصة به.

قال العلماء: وهذا لا يقتضي تفضيل من يجيء بعد على أصحاب رسول الله؛ لأن هناك وصفان: وصف الصحبة لأصحابه ﷺ، ووصف الأخوة، وأصحابه متصفون بصفتين:

- ١ - صفة الأخوة، وهي أخوة الإسلام.
- ٢ - صفة الصحبة للرسول ﷺ.

ومن جمع بين هاتين الصفتين فهو أعلى وأكمل مرتبة من كان له وصف واحد، وهو وصف الأخوة في الإسلام.

= فدل ذلك على أن الصحابة أفضل من جاء بعدهم، ولهذا يُستدل =

قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: أرأيتم لو أن رجالاً له خيل غُرّ محجلة بين ظهرياني خيل دُهم بُهم لا يعرف خيله؟
قالوا: بلـى، قال: فإنـهم يأتـون غـراً محـجلـين من الـوضـوء^(١)،

= بهذا الحديث على فضل أصحاب النبي ﷺ.

وقد ذكر الله عَنْك هؤلاء الذين لم يأتوا بعد فقال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوكَ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا خَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

فوصفهم سبحانه بأنهم جاءوا بعد الصحابة ﷺ، ووصفوا الصحابة
بأنهم إخوانهم في الدين والملة ويدعون لهم، ويرحمون عليهم
ويستغفرون لهم، ويعرفون لهم بالسبق بالإيمان.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - : (فأين الذين يطعنون في الصحابة ويسبونهم ويلعنونهم، ويزعمون أنهم من المسلمين، أين هم من هذه الآية، ومن هذا الحديث، وأين هم من الإسلام؟ وهم يسبون صحابة رسول الله ﷺ ويلعنونهم ويكفرونهم؟).

(١) (قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غير محللة..... من الوضوء) كيف يعرف النبي ﷺ الذين لم يأتوا بعد؟.

وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليزادن رجال يوم القيمة عن حوضي، كما يزداد البعير الضال، أنا دينهم: ألا هلم، فيقال: إنهم بدلوا بعده، فأقول: سحقاً سحقاً^(١)

= يعرفهم بأثار الوضوء، وهذا فيه دليل على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة. وقيل: ليس من خصائص هذه الأمة، ولكن من خصائصها النور والضياء الذي يكون فيهم من آثار الوضوء، وإنما فالوضوء مشروع لجميع المؤمنين، ولكن اختصت هذه الأمة بالأثر الذي يكون على أطرافه. وقد ضرب لهم الرسول ﷺ مثلاً بالخيل الغر المحجلة بين ظهراني خيل دهم بهم، هل يعرفها صاحبها أم لا.

فالغرة بياض في الوجه، والتحجيل: بياض في الأطراف (الأيدي والأرجل).

والخيل الدهم: جمع أدهم وهو الأسود، والبهم: التي لا يخالطها لون آخر يعني أنها سوداء خالصة.

فهذا مثال واضح أراد به النبي ﷺ التمثيل على أنه يعرف أمهته يوم القيمة وهو لم يرهم بالنور الذي يظهر في وجوههم وأطرافهم من آثار الوضوء.

(١) قوله ﷺ: (ألا ليزادن رجال يوم القيمة عن حوضي كما يزداد البعير الضال): أي أن البعير الضال إذا فرّ من صاحبه، ثم أتى إلى مرعى رجل =

وللبيهاري^(١): (بينما أنا قائم إذا زمرة^(٢)،

=آخر له إبل فإنه يذود هذا البعير ويطرده، فكذلك هؤلاء يطردون عن حوض النبي ﷺ، فيقول النبي ﷺ: (أناديهم ألا هلم) : يعني أنه ينادي هؤلاء المطرودين أن أقبلوا.

فيقال: (إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك) : يعني أنهم غيروا وبدلوا ما كانوا عليه من الاستقامة على الدين ونبذ البدع والمحظيات.

فأقول: (سحقاً سحقاً) : بعداً بعداً. أي يتبرأ منهم الرسول ﷺ يوم القيمة في موقف هم أحوج ما يكونوا إليه، لما أنهم عصوه في الدنيا أبعدهم الله عنه يوم القيمة، وحرمهم وفضحهم أمام الخلائق، فيالها من موعظة ما أبلغها وما أو جزها، ويا له من حث على اتباع الرسول ﷺ والتمسك بالسنة والصبر عليها، والثبات عليها، وإن عيرونك وتنقصوك وسبوك فلا تلتفت إلى الخلق، ولكن التفت إلى الخالق ﷺ، فاصبر واثبت ما دمت على الحق.

والشاهد من هذا الحديث هو آخره، حيث دل على أن فضل الإسلام لا يناله إلا من استقام على الدين حتى توفاه الله تعالى وهو كذلك غير مبدل، فمن بدل وأحدث في الدين فلا يناله فضل الإسلام.

(١) صحيح البخاري: ٦٢١٥ ولكن في أوله: (بينا أنا نائم).

(٢) قوله ﷺ: (بينما أنا قائم إذا زمرة) : أي بينما الرسول ﷺ قائم على =

حتى إذا عرفتهم وعرفوني خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم
فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم
ارتدوا بعده على أدبارهم القهقري^(١)، ثم إذا زمرة - ذكر مثله -
قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم^(٢).

= حوضه في عرصات القيامة. (إذا زمرة) أي طائفة.

(١) قوله: (حتى إذا عرفتهم وعرفوني): يعني أن النبي ﷺ يعرف هذه
الزمرة والطائفة التي رءاها.

- (خرج رجل من بيني وبينهم): قال العلماء: الذي يخرج من بين النبي
ﷺ وبينهم ملك من الملائكة في صورة رجل (قال: هلم) يعني أن الملك
يناديهم بقوله: هلم. فيقول النبي ﷺ: (أين؟): أي أين تذهب بهم؟
فيقول الملك: (إلى النار والله)، قلت: وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعده
على أدبارهم القهقري): يعني أنهم رجعوا إلى الخلف بعد وفاة النبي
ﷺ. وقد استدل بعض أهل العلم بقوله: (إنهم ارتدوا بعده على
أدبارهم القهقري): على أن هذا في أصحاب الردة الذين ارتدوا بعد وفاة
النبي ﷺ من كان يعرفهم النبي ﷺ.

(٢) قوله: (ثم إذا زمرة - ذكر مثله -): يعني زمرة كسابقتها عرفهم الرسول
ﷺ وعرفوه فيخرج رجل: أي من الملائكة في صورة رجل.... الخ

- كما تقدم -

- ثم قال : (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) : همل النعم هي الإبل التي لا يكون لها راع ، بل هي إبل مهملة ، والمعنى : فلا أظن أن يرد على الحوض إلا مثل همل النعم من هذه الزمرة ، يعني أنهم عدد قليل ؛ لأن الإبل المهملة بالنسبة إلى المرعية قليلة جداً ، فكذلك الذين يردون على الحوض ، ويخلصون من النار من هذه الزمرة إنما هم عدد قليل كهمل النعم . فهذا الحديث يدل على أن من ارتد أو أحدث أو بدل بعد ما كان مستقيماً فإنه لا يناله فضل الإسلام ؛ لأنه حينئذ يكون من أهل النار ، والعياذ بالله .
والله عَزَّ وَجَلَّ وعد أهل الإسلام بفضل عظيم .

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - في تعليقه على هذا الحديث محذراً : (وهذا فيه أنه من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام أنه سيلقي هذا المصير ، إلا إذا تاب إلى الله قبل الموت ، وهذا يؤكد على الإنسان أن يعرف نواقض الإسلام ويتجنبها ، لئلا يكون مع هؤلاء يوم القيمة . قد يعيش الإنسان مرتدًا وهو يزعم أنه مسلم ، لماذا؟).

لأنه يعيش على ناقض من نواقض الإسلام ، ونواقض الإسلام ، وأسباب الردة كثيرة يجب العناية بها ومعرفتها وسؤال الله الثبات على الدين ، فلا يكفي مجرد الانتساب ، أو يكون الإنسان إمعنة مع الناس ، أساءوا أو أحسنوا ، بل لا بد أن يعرف الحق ليعمل به ، ويسأل الله الثبات .

ولهم^(١) في حديث ابن عباس ﷺ : (فأقول كما قال العبد الصالح : « وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ أَرْقِبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »)^(٢) [المائدة: ١١٧]

=فهذا فيه أن من ارتد عن دين الإسلام فهو من أهل النار، ولو كان في أول أمره من هذه الأمة. قال تعالى : « وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمْتَأْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ » [البقرة: ٢١٧].

فيجب علينا معرفة أنواع الردة، ونواقض الإسلام حتى نتجنبها، أكثر الناس همَل لا يدرُون ما هي النواقض ويقعون فيها وهم لا يعلمون بسبب الجهل الذي لا يذرون به ؛ لأنَّه لا يغدر بالجهل من كان يعيش بين العلماء، وفي بلاد الإسلام، لأنَّه بإمكانه أن يسأل ويتعلم، فالحربيص يتعلم، وأما الذي لا يبالي فإنه لا يهتم بالعلم ولا بالتعلم ويكتفي بسمى الإسلام فقط ويجاري الناس على ما هم عليه، ثم يوم القيمة يصبح مع الخاسرين). اهـ.

(١) أبي البخاري في صحيحه : ٤٦٢٥ ، ومسلم في صحيحه : ٢٨٦٠.

(٢) قوله : (فأقول كما قال العبد الصالح) : أبي أنَّ الرسول ﷺ عند رؤيته هذا المشهد الهائل ، حينما يساقون إلى النار من عنده ، يقول كما قال العبد

ولهم^(١) مرفوعاً: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يجسانه، كما تتج بهيمة بهيمة جموعه هل تحسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها) ثم قرأ أبو هريرة : ﴿فِطْرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢) [الروم: ٣٠]، متყق عليه.....

=الصالح، وهو عيسى ابن مريم ﷺ : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وهذا استسلام حكم الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ كان يعلمهم مؤمنين مستقيمين، لكن بعد وفاته لا يشهد لهم بشيء، وإنما شهد لهم بما علم من أمرهم في أثناء حياته فلما توفي ﷺ كان الله تعالى هو الرقيب عليهم وحده لا شريك له، فلهذا استسلم النبي ﷺ لحكم الله، كما استسلم قبله نبي الله عيسى ﷺ.

(١) أي البخاري في صحيحه: ١٢٩٣ ، ومسلم في صحيحه: ٢٦٥٨ .

(٢) قوله ﷺ : (ما من مولود يولد إلا على الفطرة...) : هذا الحديث يفسر الآية التي في أول الباب، وهي قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلنَّاسِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فالناس فطروا على الإسلام والتوحيد فلو أنهم سلموا من دعوة الضلال لبقيت فطرتهم قابلة للحق، ولاتبعوا الرسل. ففطرتهم صالحة مثل التربية الطيبة الصالحة للنبات، ولكن إذا

وعن حذيفة رض قال: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وأنا أسأله عن الشر مخافة أن يُدركتني ^(١)

= غيرت بالسبخ والماء فسدت، وصارت لا تنبت، وكذلك الإنسان إذا غيرت فطرته لا تقبل الخير لأنها غيرت وانحرفت؛ لهذا قال: (أباواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) يعني أباواه يصرفانه إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية، ولم يقل: (أو يسلمانه) لأن الفطرة هي الإسلام، وهو مولود على فطرة الإسلام. ففي هذا الحديث إشارة إلى السبب الذي يغير الفطرة والذي يكون في العادة الأبوين أو أحدهما.

ثم ضرب مثلاً بالشاة التي جدعت قرنها أو أذنها فقال: (كما تنتج البهيمة بهيمة جماعه هل تخسون فيها من جدعاء؟ حتى تكونوا أنتم تجدعونها) يعني أن البهيمة تلد بهيمة (جماعه) أي كاملة الخلقة، سوية ليس فيها جدع، وهو قطع الأذن أو القرن، حتى يكون أهلها هم الذين يجدعونها، كذلك المولود يولد على الفطرة كاملاً، فإن غيرت الفطرة فهذا من تصرف المربين الذين يحرفون الفطرة ويعيرونها.

ثم قرأ أبو هريرة رض: «فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» وهذا دليل على أن الفطرة هي الإسلام.

(١) قول حذيفة رض: (كان الناس يسألون رسول الله صل عن الخير، وأنا

=أسأله عن الشر مخافة أن يدركني) : يرشدنا حذيفة رضي الله عنه إلى ضرورة معرفة الشر، وعدم الاقتصار على تعلم الخير والصلاح فقط، وذلك لأن الاقتصار على تعلم الخير وعدم معرفة ما يضاده من الشر يعرض الإنسان للوقوع فيه ، وقد قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ♦ ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه وهذا بخلاف ما ينادي بهاليوم كثير من الجهل أو المضللين الذين يقولون : عَلِمُوا النَّاسُ التَّوْحِيدَ وَالصَّلَاةَ وَأَعْمَالَ الْخَيْرِ، ولكن لماذا تعلموهم نوافذ الإسلام والشرك وعقائد الجهمية والمعزلة ، ومن نحا نحوهم؟ لماذا لا تقتصرون على العقائد الصحيحة وتتركون العقائد الفاسدة؟

وهذا جهلٌ وتضليلٌ؛ لأنَّه لا يكفي تعلم العقائد الصحيحة ، بل لا بد أن نعرف أيضًا العقائد الفاسدة والباطلة من أجل أن نتجنبها ، ونجنبها أولادنا وإخواننا ، ولهذا نجد العلماء ردوا على الجهمية والمعزلة والمخالفين ، ولو أنهم سكتوا عن أهل الضلال ولم يردوا عليهم لراجحت أفكارهم وشبهاتهم.

وهذا حذيفة رضي الله عنه كان يسأل رسول الله صلوات الله عليه وسلم عن الشر ، ولم ينهه عن ذلك ، بل أقرَّه وبين له . فلا بد للمسلمين أن يكونوا على استعداد لمقاومة الشر لثلا يروج ، لأنَّ له دعاة حريصين على رواجه ، ويزينونه بزخرف =

فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. فقلت: وهل بعد هذا الشر من خير قال: نعم، وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستون بغير سنتي ويهددون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمياء، ودعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله، صفهم لنا... قال: قوم من جلدتنا، ويتكلمون بالستنا، قلت: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم... قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك^(١)) آخر جاه^(٢)

= القول ويسمونه بأسماء مغربية، فلو لم تُعرف هذه الشبهات والدعوات الضالة، لأوشك أن يروج هذا على الناس، ولذهبت السنة، وراجت البدعة، وهذا هو الحكم من تعلم الخير وما يضاده من الشر حتى تسلم منه، وهذا هو سبب سؤال حذيفة رضي الله عنه عن الشر.

(١) قوله: (إنا كنا في جاهلية وشر): يعني قبل الإسلام، من الكفر بالله =

= والقتل والنهب وإتیان الفواحش.

- (فجاءنا الله بهذا الخير) : يعني بالإسلام لما فيه من الأمان والإيمان والطمأنينة وكل خير.

- (قال : فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم) : يعني أن بعد الخير الذي جاء وهو الإسلام سوف يعقبه شر.

- (فقلت : فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال : نعم ، وفيه دَخْنٌ) : وذلك أن الشر إذا حدث ، فإن له أثراً في تغيير أخلاق الناس ، وسلوكيهم وعقائدهم.

وقوله : (فيه دَخْنٌ) : كنایة عن عدم حصول الشيء على صوابه وما يُرجى ، كما يرى الرائي من الصورة إذا حال الدخان بينه وبينها . [الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر . عبد السلام بن علوش ، ص ١٦٤ .]

- (قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستونون بغير سنتي ويهددون بغير هديي تعرف منهم وتتكرر) : يعني أنه يعقب ذلك الشر خير ، ولكن هذا الخير ليس خيراً صافياً ، لأن القلوب حصل لها فساد بسبب الشر الذي أعقب الخير الأول . ثم بين النبي ﷺ دخنه بأنه : (قوم يستونون بغير سنتي ، ويهددون بغير هديي ، تعرف منهم وتتكرر) : أي تعرف بعض قولهم وفعلهم وأنه موافق للإسلام والسنّة ، وتتكرر بعض ذلك لأنه مخالف للكتاب والسنّة ؛ لأن هذا الخير ليس صافياً كما هو الخير الأول ، إذ هو =

= خير فيه دخن.

- (قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، فتنة عمباء، ودعاة على أبواب جهنم من أجايبهم إليها قذفوه فيها) : قوله (فتنة عمباء) هذه في رواية أبي داود في سننه : ٤٢٤٦ وليس في الصحيحين.

قال العلماء: سماها فتنة عمباء، إما لأن الناس يدخلون في هذه الفتنة على غير بصيرة، وإما لأن هذه الفتنة إذا وقعت وأراد الناس النجاة منها فإنهم لا يجدون منها مخرجاً، كما أن الأعمى يتغلق عليه الخروج من بعض الأمكنة. فهو لاء إذا وقعت هذه الفتنة فإنها تكون فتنة يصعب الخروج منها.

(ودعاة على أبواب جهنم) : هذا باعتبار المال؛ لأن هؤلاء الذين يدعون ليسوا واقفين الآن على أبواب جهنم ولكنهم يدعون، ومآل من أطاعهم أن يدخل النار (من أجايبهم إليها قذفوه فيها) : أي قذفوه في النار لأنهم بلغوه إليها - النار - بدعوتهم له، وهم لا يقولون له: تعالى إلى جهنم، ولكن تعالى إلى الجنة والخير، وإلى الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك، وهم في الواقع دعاة إلى جهنم من أجايبهم قذفوه فيها.

- (قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال قوم من جلدتنا ويتكلمون =
باليستنا).

= قال العلماء – رحمهم الله – : يعني أنهم من هذه الأمة سواء كانوا مسلمين ثم كفروا، أو أنهم على الإسلام، ولكن عندهم تبديل وتحريف وظاهر حالهم أنهم مثلنا ، ولهذا قال : (قوم من جلدتنا ويتكلمون بالستنا) والذى يظهر من الإنسان هو جلدته، فظاهرهم أنهم منا ويتكلمون بالستنا ، أي باللغة العربية وهنا تعظم المصيبة ، عندما يأتي الشر من أبناء المسلمين.

(قلت : يا رسول الله ، ما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) : هذا سؤال عن سبيل النجاة ، فأجابه النبي ﷺ : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) : وجماعة المسلمين هم الذين اجتمعوا على الإمام فيلزمهم ويلزم إمام المسلمين وإن كان جائراً ظالماً فاسقاً ، ولا يلتفت إلى هذه الفتنة ودعاتها ، فإن كان هناك جماعات متعددة وهنا جماعة على الحق فكن مع الجماعة التي على الحق ولهذا قال ﷺ : (وتفترق أمتي على ثلات وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا واحدة قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي) اصحح سنن الترمذى : ١٢٦٤١ .

فهذه هي الفرقة الناجية ، وهي التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه . فلا يفتر أحد بحقيقة الفرق .

– (قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك =

=الفرق كلها ولو أن تعرض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك) : أي فإن كانوا متفرقين ، ولم يجتمعوا ، وليس لهم إمام قد بایعوه فماذا يفعل ؟ قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها....) : أي يعتزل هذه الجماعات التي ليس لها إمام ، لأنه إذا وجدت جماعات بلا إمام فإنه غالباً يؤول الأمر بینهم إلى الشجار ، وتقع بینهم حيشذ فتنة عمیاء ، ويقاتل الناس فيها تحت راية عمیة ، يعني يدخل في هذا القتال وهو لم يتبعن له الحق مع أي الطائفتين ، أو مع أي الجماعات .

.. (قال: فاعتزل تلك الفرق كلها): يعني لا تنضم إلى واحدة منها؛ لأنهم ليس لهم إمام.

– قال: ولو أن تعرض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك) : أي تعتزل هذه الفتنة، وتصبر على الاعتزال، حتى ولو آلت الاعتزال لأن تعرض على أصل شجرة، لأنه لا يجد شيئاً من شدة الفتنة.

وقال بعض العلماء: عض الشجرة كنایة عن الاستمساك بالعزلة، وترك هذه الفرق كلها؛ لأنهم ليسوا مجتمعين على إمام.

(١) أي البخاري في صحيحه: ٧٠٨٤، ومسلم في صحيحه: ٤٧٦٢.

وزاد مسلم^(١): (ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره، وحُطّ وزره، ومن وقع في نهره، وجب وزره وحُطّ أجره. قلت: ثم ماذا؟ قال: هي قيام الساعة)^(٢)

(١) هذه الزيادة ليست في اصحیح مسلم وإنما في [سنن أبي داود: ٤٢٤٤]، واستناده حسنًا.

(٢) قوله: (ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال معه نهر ونار...) من الفتنة الشديدة التي تحصل في آخر الزمان وهي من علامات الساعة الكبرى خروج الدجال. وسمى الدجال من الدجل والكذب لكثرة كذبه، وهذا الرجل يظهر في اليهود، وهو الذي يتظره اليهود ليخرج فيهم. معه فتنة عظيمة وهي صورة جنة، وصورة نار، فالنار التي معه هي الجنة، والجنة التي معه هي النار. وهذا دليل على أن الإنسان لا يفتر بالزخرف، وفيه تحذير من الدعایات المضللة، وأن الإنسان لا يزهد في الحق، ولو أن الحق لبس عليه، ووصف بالتأخر والرجعية والجمود فالحق هو الحق، والباطل هو الباطل، ولو وصف بالتقديم والحضارة والرقي فهو باطل.

ولعظم فتنة الدجال كان الأنبياء كلهم يخذرون منه، وأشد لهم تحذيرًا نبينا محمد ﷺ، ولذلك أمرنا أن نستعيذ بالله من أربع في كل صلاة في التشهد الأخير، منها: (ومن فتنة المسيح الدجال)، كما رغبنا في حفظ عشر =

وقال أبو العالية^(١): (تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبو
عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام،)

=آيات من سورة الكهف فقال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة
الكهف - وفي رواية من آخر سورة الكهف - عُصِمَ مِنَ الدِّجَالِ) [صحيح
مسلم: ١٨٨٠، ١٨٨١] ويحصل لل المسلمين فتنَة عظيمة عند خروج الدجال
فيهم في آخر الزمان حتى ينزل عيسى صلوات الله عليه وآله وسالم، فيقتله ويريح المسلمين منه
ومن شره.

وقد أورد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الحديث هنا - حديث حذيفة
رسول الله - ليبين أن فضل الإسلام لا يناله إلا أهله المستمسكين به حقاً، ولهذا
أمر النبي صلوات الله عليه وآله وسالم بالاستمساك به، كما حذر من الدعاة الذين يقفون على
أبواب جهنم يدعون إليها، فمن استجاب لهم لم يكن من المقيمين
وجوهرهم للدين سواء التابع أو المتابع، كما بين فيه النبي صلوات الله عليه وآله وسالم طريق
النجاة من الفتنة وهو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وذلك حتى يدرك
فضل الإسلام، كما بين أيضاً ما يحتاجون إليه إلى قيام الساعة.

(١) كلام أبي العالية ذكره اللالكائي في لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة [٦٢/١]
وفيه: (ولا تحرقو الإسلام يبنا ولا شعalaً. وعليكم سنة نبيكم والذي
كان عليه أصحابه..).

ولا تحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً وعليكم بسنة نبيكم،
وليأكم وهذه الأهواء^(١)). انتهى.....

(١) هنا يوصي أبو العالية - وهو من أئمة التابعين - بأربع وصايا عظيمة:

الوصية الأولى: الأمر بتعلم الإسلام حيث قال: (تعلموا الإسلام): أي اعرفوه، فلا يكفي أن تقول أنا مسلم حتى تعرف الإسلام ومعناه وأركانه ونواقضه، حتى تكون على بصيرة من دينك. وفي هذا الحث على تعلم العلم النافع، لأنه هو الحياة والنجاة بإذن الله.

الوصية الثانية: الثبات عليه، وعدم الرغبة عنه، حيث قال: (فإذا تعلتموه فلا ترغبو عنه) يعني إذا تعلتم الإسلام، وعرفتموه فعليكم بالتمسك به، فلا يكفي أن يكون الإنسان عالماً، يجب عليه أن يكون عاملاً بعلمه وإلا كان العلم وبالاً عليه، فاليهود كانوا علماء أخبار ولكن ضلوا وكفروا، مما يكفي مجرد العلم، بل لابد من التمسك بالحق والثبات عليه مع العلم، أي علم وعمل.

الوصية الثالثة: معرفة الصراط المستقيم، حيث قال: (وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً): والصراط المستقيم هو الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾

= فَاتَّبِعُوهُ ﴿الأنعام: ١٥٣﴾.

فالصراط : هو الطريق . والمستقيم : هو المعتدل الذي ليس فيه اخراج أو ميل . فالله تعالى أمرنا أن نتبع هذا الصراط المستقيم ، وأمرنا أن نسأله أن يهدينا إلى هذا الصراط ، وأن يعرفنا به ، ويشتتا عليه .

ما هو الصراط ؟ الصراط هو الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ ، ويراد بالصراط : القرآن ، ويراد به : الرسول ﷺ ، وكله صحيح .

فالواجب على المسلم إذا عرف الصراط أن يسير عليه ، ويتمسك به ، ولا يظن أنه سوف يسلم من الفتنة والابتلاءات ، فعليه بالصبر والثبات على الصراط ، لأن هناك دعاة ضلاله يريدون أن يحرفوه عن الصراط المستقيم كما أخبر الله تعالى عن ذلك فقال : ﴿وَلَا تَكُنُوا آلَّا سَبِيلٍ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

الوصية الرابعة : التحذير من الأهواء ، حيث قال : (وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء) وفي هذا الأمر بلزوم السنة وهي طريقة الرسول ﷺ ، وما سار عليه هو وأصحابه في العقيدة والعمل ، والحذر من مخالفته إلى ما أحده أهل الأهواء والبدع فإن كل بدعة ضلاله ، وقد حذر الله ﷺ من مخالفته بقوله : ﴿فَلَيَحْذِرِ الَّذِينَ خَالِفُونَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] .

كما فيه التحذير من موافقة هوى النفس المخالف للحق ، وقد حذر الله ﷺ =

تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر
فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام^(١)،

= من ذلك قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ^٢
وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ أَنْجَبَ هَوَانَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ رَبِّهِ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]

فعلى المسلم أن يتبع الحق سواء وافق هواه أو خالفه؟ لأن العاقبة الحميضة
في اتباع الحق.

وهذا كلام عظيم من أبي العالية؛ لأنـه مستمد من الكتاب والسنة.

(١) يقول الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى تعليقاً على كلام التابعي الجليل: (تأمل كلام أبي العالية هذا ما أجله، واعرف زمانه الذي يحذر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رغب عن الإسلام): يعني اعرف الزمان الذي حذر فيه أبو العالية من الأهواء، وهو كان في زمن التابعين من خير القرون، الذين قال فيهم بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى: (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [صحيح البخاري: ٢٦٥٢، صحيح مسلم: ٦٤١٩]، فكيف بالقرون التي جاءت بعد ذلك فإن البدع والأهواء والشبهات أكثر، والفتن فيها أعظم، مما يدل على أن الأزمنة التي جاءت بعد زمان التابعين أحق بالتحذير من الأهواء فيها، لأنـها أشد وأعظم.

- وكذلك إذا كان أبو العالية يحذر من الأهواء في ذلك الزمان مع قوة إيمان=

وتفسير الإسلام بالسنة^(١)، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب، يتبع لك معنى قوله تعالى: «إِذْ قَالَ رَبُّهُ أَسْلِمْ» [البقرة: ١٣١]، قوله: «وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَيْ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٢]، قوله تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» [البقرة: ١٣٠]^(٢)

= أهل وصلابتهم في الحق، فأهل الأزمنة الذين جاءوا من بعدهم أحق بأن يخدرروا من اتباع أهل الأهواء، وأن يخاف عليهم من عاقبها.

(١) قوله: (وتفسير الإسلام بالسنة): يعني واعرف تفسير الإسلام بالسنة فمن أسلم وجهه لله، ولكن لم ينقد للنبي ﷺ فهو ليس بمسلم، وقد فهم أبو العالية رحمه الله هذا المعنى، فكان يقول: (ما أدرى أي النعمتين علي أعظم إذ أخرجني الله من الشرك إلى الإسلام، أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٤٧].

(٢) ثم قال: (وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السنة والكتاب): يعني واعرف خوف أبي العالية على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج على السنة والكتاب، إذا عرفت هذه الأشياء - عرفت الزمن =

وأشبه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة^(١) ،

= وعرفت تفسير الإسلام بالسنة، وعرفت خوف أبي العالية على أعلام التابعين، وتأملت كلام أبي العالية هذا - تبين لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَسِينَ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تَمُونُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴿٥﴾﴾، وتبين لك أن كلام أبي العالية جمع بين الدعوة إلى الإسلام، والتحذير من مخالفته كما هو الأمر في هاتين الآيتين اللتين أورددهما الإمام.

وكذا يتبع معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ﴾ من خلال كلام أبي العالية عندما قال: (إِذَا تَعْلَمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغِبُوا عَنْهُ) فإن قوله هذا يوافق هذه الآية في التحذير من الرغبة عن ملة الإسلام.

(١) ثم قوله، (وأشبه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول والناس عنها في غفلة): أي وأشباه هذه الأصول الكبار التي يبيتها هذه الآيات، وجاءت في سياق أبي العالية والناس أكثرهم في غفلة، لا يقرأنها ولا يتعلمونها وإذا تعلموها قليل من يعمل بها، وإذا عملوا بها قليل من يثبت عليها، فالأمر يحتاج إلى استعانة بالله عز وجل، وإلى اهتمام بالأمر، فلا =

ويمعرفه يتبعى معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها. وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناهه، ويظنها في قوم كانوا فبادوا: ﴿أَفَمِنْهُمْ مُّكَرَّرَ اللَّهِ إِلَّا قَوْمٌ أَخْسِرُونَ﴾^(١) [الأعراف: ٩٩]

= يثق الإنسان من نفسه، أو يؤمن من الفتنة، بل يخاف الفتنة ويتجنبها، ولا يكون إمامة مع الناس، بل يكون مع الحق دائمًا وأبدًا، فإذا بلغه شيء فإنه يعرضه على الحق، فإن وافقه فالحمد لله، وإن خالفه تركه.

(١) ثم قال: (ويمعرفه يتبعى معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها. وأما الإنسان الذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنها لا تناهه، ويظنها في قوم كانوا فبادوا: ﴿أَفَمِنْهُمْ مُّكَرَّرَ اللَّهِ إِلَّا قَوْمٌ أَخْسِرُونَ﴾): يعني بمعرفة كلام أبي العالية تتبعى معانى هذه الأحاديث التي في هذا الباب، فمن يقرأ هذه النصوص وأمثالها ويتفقه فيها، ويعمل بها فهو على طريق نجاة وسلامة.

وأما الذي يطلع على هذه النصوص التي تأمر بالاستمساك بالإسلام والسنّة، وتحذر من البدع فلم يلتقط إليها، بل كان غافلًا عنها، يظن أن المخاطبين بها قوم آخرون كانوا فهلكوا وتوفاهم الله، ولا يظن أن نفسه =

وعن ابن مسعود رض قال: خط لنا رسول الله صل خطأ ثم
قال: (هذا سبيل الله - ثم خط خطوطاً عن يمينه، وعن شماله ثم
قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه^(١)،

= مخاطبة بها فإن هذا نوع من أنواع المكر من الله تعالى بهم، ويكون حينئذ
مستدرجاً إلى البدع والضلالات من حيث لا يشعر. ومكر الله حق وعدل
ولا يمكر إلا من يستحق.

(١) هذا الحديث يفسر قوله تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا
تَشْبِعُوا أَسْبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ»: فسر هذه الآية بمثال محسوس،
حيث خط خطأ مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله. فقال
للمستقيم: هذا صراط الله، وقال للخطوط الأخرى: هذه سبل، على كل
سبيل منها شيطان يدعوك إليها، ليخرج الناس من الصراط المستقيم
إلى هذه السبل، هؤلاء هم دعاة الضلال، هم الذين من جلدنا ويتكلمون
باليستنا، وهم الدعاة الذين على أبواب جهنم؛ لأن هذه السبل تؤدي إلى
جهنم، فهذا الحديث فيه تحذير من دعاة الضلال.

وقد نص العلماء على أن هذا الحديث يتضمن أصلين:
 أحدهما: تحقيق ما جاء به النبي صل تحقيقاً كاملاً.

ثانيهما: ترك معارضته ما جاء به النبي صل بالشبهات، إما برأيه =

=أو برواية ؛ لأن الرواية أحياناً يُشَبِّهُ بها على النصوص المكمة، وذلك بأن الرواية إذا أردنا أن نستدل بها فلا بد أن نعرف ثبوتها، وأن نعرف وجه دلالتها.

أ) فمن عارض الثابت عن النبي ﷺ بالأحاديث الضعاف والواهية فقد عارض هدي النبي ﷺ، ولم يتحقق : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ » لأن الصراط المستقيم الذي يتبع هو الثابت عن النبي ﷺ.

ب) ومن عارضها بحديث صحيح أوله على غير التأويل الذي يوافق النصوص، أو أول نصاً من كتاب وسنة يخالف المعروف عن سلف هذه الأمة، وما تجتمع به النصوص فإنه يكون مشبهًا، ومن هنا قال العلماء - رحمة الله - : أما النصوص المشتبهة فإنها ترد إلى النصوص المكمة فإذا اشتبهت علينا نصوص وكانت دلالتها غير ظاهرة وجب علينا أن نردها إلى المكمة؛ لأن الحكم هو الذي يجب العمل به، وأما المتشابه فيرد إلى الحكم مع الإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ، وأن الله ورسوله لا يقولان إلا حقاً وصادقاً.

فهذا الحديث أورده المؤلف في كتاب (فضل الإسلام) ليبين أن فضل الإسلام إنما يتحقق للمتبعين لما جاء به النبي ﷺ، الذي سلم اتباعه من أن يكونوا متلبسين بالشبهات والبدع، فإذا حققوا ذلك دخلوا في قوله تعالى : « فَأَفَّقْرَأْتَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا » وكانوا من المقيمين وجوههم للدين حنيفاً.

وقرأ: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَكُونُوا أَشْبُلَ فَتَفَرَّقُ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (الأنعام: ١٥٣). رواه أحمد والنسائي^(١).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند: ٤١٤٢، ياسناد حسن، ولم أجده في
النسائي، ولكن أخرجه الدارمي في سنته في المقدمة: ٢٠٨، ياسناد حسن.



باب ما جاء في غرية الإسلام وفضل الغرباء^(١)

وقول الله تعالى: «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَتِيلُكُمْ أُتُوا بِقِيَّةً يَتَهَوَّنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ أَجْيَانَا مِنْهُمْ»^(٢) [أعود: ١١٦]....

(١) تقدم في أول الكتاب أن فضل الإسلام يكون أحياناً باعتبار زمانه، وأحياناً باعتبار مكانه، وأحياناً باعتبار حاله. وقد عقد الإمام رحمه الله هذا الباب ليبين فضل الإسلام في زمان معين، أو مكان معين، أو حالة معينة؛ لأن فضل الإسلام يتفاوت بحسب الزمان والمكان والحال.

وغرية الإسلام نوعان:

أ) غرية مطلقة: وهذه تكون في آخر الزمان بعد خروج الدجال، ونزول عيسى صلوات الله عليه، وقتلته الدجال، فيرسل الله بعد ذلك رحمةً تقضي روح كل مؤمن ومؤمنة، فلا يبقى على ظهر الأرض من يقول الله الله، فعندها يكون الإسلام غريباً.

ب) غرية مقيدة: بزمان أو مكان أو شريعة من شرائع الإسلام، كما بين ذلكشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأنه لا غرية مطلقة إلا في آخر الزمان لأن النبي ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) [صحيح مسلم: ١٩٢٠].

(٢) وقول الله تعالى: «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَتِيلُكُمْ» أي فهلا كان من

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود
غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء) (١) رواه مسلم (٢)

= القرون من قبلكم من الأمم الخالية «أُولُوَّا يَقِيْة» : أصحاب عقل
ويعض العلماء يقول : «فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَتِيلُكُمْ» : يراد به النفي أي
ما كان من القرون من قبلكم من ينهى عن الفساد .

«يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ» : ينهون الناس عن الفساد في الأرض
ويمأرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ثم استثنى الله عز وجل قلة منهم فقال :
«إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْتَ إِنْتَهُمْ» : هؤلاء القليل الذين ينهون بخاهم الله عز وجل
وإذا كانوا قلة قليلة في فساد ، فإنهم يكونون غرباء ، وهذا وجه سياق
المصنف لهذه الآية في باب غرابة الإسلام .

وفي هذه الآية دليل أيضاً على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ينجو
من عذاب الله ، وأما الذي لا يأمر ولا ينهى فإنه يهلك ولو كان من
الصالحين ، ثم يبعثه الله على نيته ، كما جاء في الحديث – يعني حديث أم
سلمة مرفوعاً : (يعود عائد بالبيت ، فيبعث إليه بعث ، فإذا كانوا ببيداء من
الارض ، خسف بهم . قلت : يا رسول الله فكيف من كان كارهاً ؟ قال :
يخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيمة على نيته) (صحيح مسلم : ٢٨٨٢).

(١) قوله ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) : يعني بدأ =

=الإسلام غريباً لما بعث الله تعالى نبينا محمد ﷺ، وأمر بالنذارة فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّبِرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ (المدثر: ١ - ٢)، قام وحده ﷺ ثم انضم إليه أبو بكر ؓ، وبلال ؓ ولهمذا لما سئل ﷺ: (من معك على هذا الأمر؟ قال: حر وعبد) ثم تتابع المسلمين واحداً واحداً، وهم على خوف وابتلاء، إلى أن أذن الله تعالى لهم بالهجرة إلى المدينة، فبدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً في آخر الزمان، ويكون التمسكون به غريباً مثل ما كانوا في مكة أولبعثة. وهذا الحديث خبر من الرسول ﷺ معناه التحذير مما يحصل في آخر الزمان، وفيه الحث على التمسك بالإسلام، ولو كان أهله قليلين مستضعفين.

يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - : (والآن الإسلام عاد غريباً، ولو كان الذين يدعون الإسلام يبلغون المليار، أو أكثر، لكن الإسلام الصحيح غريب بين الذين يدعون الإسلام، فكيف الكفار.

فالمسلم الصحيح غريب بين الذين يدعون الإسلام، فليست العبرة بالكثرة، ولكن العبرة بالحقيقة، فالمسلمون الذين على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه قليلون غرباء، حتى بين المسلمين). اهـ.

وهذا مصدق لقول أبي بكر بن عياش - أحد أئمة السلف - إذ كان يقول: (السنة في الإسلام أعز من الإسلام فيسائر الأديان) [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكتائي ١٦٦/١]، أي أن التمسكين بالسنة غرباء بين المسلمين =

=غير المتمسكون بها من سائر الطوائف والفرق وأهل الأهواء، وذلك لقلتهم، حتى إن الإمام سفيان الشوري كان يقول : (إذا بلغك عن رجل بالشرق صاحب سنة وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما ، ما أقل أهل السنة والجماعة) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكتائي ١/٦٤).

وكان يقول - أي سفيان الشوري - : (استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء) (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكتائي ١/٦٤) فهذا في زمانهم ، فما نقول نحن في زماننا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم رغب النبي ﷺ المسلم في أن يكون مع الغرباء في آخر الزمان ، حيث قال : (فطوبى للغرباء) ، وطوبى : قيل هي شجرة في الجنة ، يُعبر عن دخول الجنة بها ، وقيل : هي اسم من أسماء الجنة ، وقيل : هي الكلمة الطيبة.

وفي قوله ﷺ : (فطوبى للغرباء) : دليل على فضل الغرباء ، وأن إسلامهم أكمل من إسلام غيرهم.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح هذا الحديث تنبيهات مهمة منها :

١ - لا يقتضي أن تكون الغربة شرًا للمسلم ، بل هو خير ، لأن الله تعالى وعد أهلها بالأجر ، ووعد أهلها بالسعادة.

٢ - أن غربة الإسلام لا تُجُوز للعبد أن يترك تمسكه بالدين.

(٢) في الصحيحه : ٣٧٠

ورواه أَحْمَدُ^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مُسْعُودٍ وَفِيهِ: (وَمَنِ الْغَرِيَّاءُ؟ قَالَ: النِّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ)^(٢). وَفِي رِوَايَةٍ: (الْغَرِيَّاءُ الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ)^(٣)

(١) في المسند: ٣٧٨٤، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) قوله ﴿النزاع من القبائل﴾: والنزع: جمع نازع، وهو الذي ينتقل من أهله وعشيرته، ويلده إلى بلد آخر، فهو غريب عنهم.

قال ابن الأثير - في بيان معنى الحديث - : (طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى) [النهاية في غريب الحديث ٤١/٥]. وهذا هو الوصف الأول للغرباء.

(٣) قوله ﴿الذين يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ﴾: أي يصبرون على الدين ولا ينظرون إلى فساد الناس فيتابونهم، وكونهم يَصْلَحُونَ بين الناس هذا يحتاج إلى صبر، وثبات، وفقة، ومعرفة بالأول. وهذا هو الوصف الثاني للغرباء، وهذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١٦٦٩٠ وإسناده ضعيف جداً بهذه السياقة، وقد رواه الإمام أحمد بنحوه بإسناد جيد من حديث سعد بن أبي وقاص برقم (١٦٠٤)، ولفظه: (إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرِزَنَ الإيمانَ بين هذين المසجدين، كما =

وللترمذى^(١) من حديث كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده:
(طوبى للغرباء الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي)^(٢).....

= تأرِّخُ الْحَيَاةِ فِي جَهَنَّمِهَا.

(١) انظر ضعيف سنن الترمذى: ٢٦٣٠ ، وقال الألبانى: ضعيف جداً، وقد حسن الترمذى.

(٢) قوله: (الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي): أي يكونون صالحين في أنفسهم، ويصلحون ما أفسد الناس بالدعوة إلى الله عَزَّلَهُ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الخير قدر استطاعتهم، فالله عَزَّلَهُ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيَهْلِكَ الْقَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ اهود: ١١٧. ولم يقل: صالحون.

فمعنى مصلحون: يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأما إذا كانوا صالحين في أنفسهم وساكتين فإنهم يهلكون مع الهاكين، وتعتمهم العقوبة في الدنيا، ثم يعيشون يوم القيمة على نياتهم.
وهذا هو الوصف الثالث للغرباء.

إذا جاء في وصف الغرباء في الأحاديث ثلاثة أوصاف:

١ - النزاع من القبائل.

٢ - الذين يَصْلِحُون إِذَا فَسَدَ النَّاسُ.

٣= الذين يُصلحون ما أفسد الناس.

ولفظ حديث الترمذى هو قوله ﷺ: (إن الدين ليأرِّز إلى الحجاز كما تأرِّز الحياة إلى جحرها، ولَيَعْقِلَنَّ الله الدين في الحجاز، مَعْقِلَ الأزوئية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوى للغرباء، الذين يُصلحون ما أفسد الناس من سنتي) (قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح) ويشهد له حديث سعد بن أبي وقاص في المسند، السابق برقم (١٦٠٤).

ومعنى يأرِّز - بكسر الراء - وقد تضم: أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض.

والجاز: اسم مكة والمدينة، وما حواليهما من البلاد، وسميت حجازاً لأنها حجزت: أي منعت وفصلت بين بلاد نجد والغور.

ومعنى (ليعْقِلَنَّ): أي ليتعصمن: أي يتمنع بالجاز ويتخذ منه حصناً وملجاً.

و(الأزوئية): الأنثى من المعز الجبلي. وهي: بضم الهمزة وتكسر، وتشدد الياء. والمعقل: مصدر بمعنى العقل.

والمعنى: أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرِّز بين المسجدين - مسجد مكة ومسجد المدينة - كما تأرِّز الحياة في جحرها، والمراد أن أهل الإيمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة، وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه =

وعن أبي أمية قال: سألت أبا ثعلبة رض، فقلت: يا أبا ثعلبة
كيف تقول في هذه الآية؟ **﴿يَتَأْمِنُّا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾**^(١) [المائدة: ١٠٥]

=الذي ظهر وقوى بها، وأن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتنة
واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام، يعود إلى الحجاز كما
بدأ منه.

وفي هذا تنبية على أن نصرة الإسلام، والقيام بأمره يصير محتاجاً إلى
الخروج عن الأوطان، والصبر على مشاق الغربة كما كان في أول الأمر.
فأهل الدين في الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس، ولا يخالطونهم
وكذا في الآخر، فطوبى للغرباء أولاً وأخراً الذين يعملون بستي
ويظهرونها بقدر طاقتهم). اهـ. [مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، هامش
ص ٩٩، ١٠٠، من موج ٣ قسم الحديث]. وانظر: [مسند الإمام أحمد بن حنبل
١٥٧/٣، ١٥٨ - الهاشم].

(١) هذه الآية من سورة المائدة افتتحت بنداء الله عَزَّلَكَ للمؤمنين وحث لهم.
- ومعنى قوله: **﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾**: أي ألموا أنفسكم، واعتتوا بأمر
أنفسكم أولاً.

- ومعنى قوله تعالى: **﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾**: يعني أن ضلال =

قال : أما والله لقد سألت عنها خيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ
فقال : (بل اتعمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر)^(١) ،

= من ضل على نفسه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرِزُّ وَازْرَةً وِزْرَ أَخْرَى﴾
الأنعام: ١٦٤، فلا يسأل أحد عن عمل أحد، وإنما يسأل كل إنسان عن
عمل نفسه: ﴿وَلَا تُسْعَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٤١، ولكن عليكم
بالدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا واجب لا
يسقط بدليل الأدلة الأخرى الواردة في ذم من تركه، كما قال تعالى عن
بني إسرائيل: ﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ إِسَانٍ دَأْوِدَ وَعِيسَى
ابْنَ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَئِسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة: ٧٨ - ٧٩.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باقي إلى قيام الساعة، فليس معنى الآية إسقاطها كما يفهمه بعض الجهال أو المغرضين الذين يريدون أن يضربوا كتاب الله ببعضه ببعض، وإنما معنى الآية: أنه لا يضرك ضلال غيرك إذا ضل، ولم يقبل المهدىة، والموعظة والنصيحة، فأنت قد برئت ذمتك بالنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن اهتدوا فهدايتهم لأنفسهم، وإن ضلوا فضررهم عليهم.

(١) قوله ﷺ : (بل اتعمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر) : لأن السائل فهم =

حتى إذا رأيتم شحّاً مطاعاً، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام^(١)،

= من ظاهر الآية أن الإنسان لا يلزمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعليه أن يستغل بإصلاح نفسه، فأرشده النبي ﷺ على التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) قوله: (حتى إذا رأيتم شحّاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام):

(شحّاً مطاعاً): الشح: البخل مع الحرص، ومطاعاً: يعني أن نفس الإنسان تطاوعه على الشح.

(وهوى متبعاً): أي ليس عليه أثاره من علم لا من كتاب ولا من سنة ولا من عمل سلف هذه الأمة.

(ودنيا مؤثرة): أي مؤثرة على الآخرة.

(وإعجاب كل ذي رأي برأيه): سواء كان هذا الرأي صحيحاً أو غير صحيح، ولكنه يكون مستمسكاً بهذا الرأي ولو تبين له فساده.

(فعليك بنفسك): قال العلماء: هذا هو الرخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني إذا عم الفساد وطفى، وكانت الفتنة، فإنه حينئذ يكون مشتغلًا بنفسه، لأنه في زمن فتنـة، وحتى =

فإن من ورائكم أياماً الصابرون فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل
فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قلنا: منا أم منهم؟
قال: بل منكم^(١) رواه أبو داود^(٢) والترمذني^(٣).....

= لو كان مستمسكاً بالسنة، فإن الخشية عليه في الفتنة عظيمة. فعليه
بإصلاح نفسه.

(ودع عنك العوام): أي ودع عنك عامة الناس، وحيثند يترخص له في
ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر - كما ذكره أهل العلم -

(١) قوله: (فإن من ورائكم أياماً الصابرون فيهن مثل القابض على الجمر): يعني
من بعدكم أياماً الصابرون فيها على دينه مثل القابض على الجمر، لأنه يلحقه
من الأذى والشدة، ما كأنه ممسك بجمرة، وهي تؤديه، كنایة عن شدة
مسكه بالدين.

(للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً...): يعني أجر العامل في زمن
الغرية يتضاعف، ويكون موازياً لعمل خمسين رجلاً من الصحابة.
وهذا ليس من باب تفضيل الغرباء الذين يأتون في آخر الزمان على
الصحابـة ، ولكن العمل في زمن الغربة يتضاعف بأجر خمسين عملاً
من أعمال الصحـابة ، التي تقع مـاثلة لعمل هذا، وأما فضل الصحـابة
، وما عملوه في الإسلام فهـذا شيء آخر، لا يوازيـهم غيرـهم=

= في الفضل.

وبيّن الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - سبب هذه المضاعفة فقال: (لأن الصحابة كانوا مع الرسول ﷺ، والدين عزيز في ذلك الوقت وال المسلمين كثيرون، وأما هذا فهو غريب ومع هذا يتمسك بالدين، ويدافع عنه، مع أنه ليس له أنصار ولا أعون، فلذلك حاز على هذا الأجر وصار في هذه المسألة خاصة أفضل من الصحابة - أي مسألة الصبر وقلة الأنصار والأعون - والصحابة أفضل منه في أمور أخرى، في الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ والهجرة، فهو أفضل منهم في خصلة، وهم أفضل منه في خصال). اهـ.

وفي هذا الحديث بيان لفضل العمل في وقت الغربة، وفيه فضل الغرباء. والعمل لا شك أنه من الإسلام، إذا فالإسلام يتفضل بعضه على بعض بالنسبة للأوقات، والأمكنة، والأحوال. ففضل الإسلام في وقت الغربة بيّنه النبي ﷺ في هذا الحديث، وبين أجر العاملين فيه.

(٢) انظر ضعيف سنن أبي داود: ٤٣٤. وقال الألباني: ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.

(٣) انظر ضعيف سنن الترمذى: ٣٥٨. وقال الألباني: ضعيف، لكن بعضه صحيح.

وروى ابن وضاح^(١) معناه من حديث ابن عمر رض ولفظه: (إن من بعدكم أياماً الصابرون فيها التمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين منكم). قيل: يارسول الله: منهم؟ قال: بل منكم)^(٢). ثم قال^(٣): أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: [نا] سفيان بن عيينة عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت

(١) في كتابه [البدع والنهي عنها برقم ١٨٨].

(٢) يقول الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - عند شرحه لهذا الحديث: (هذه الأيام التي يشتد فيها غربة الإسلام وقلة الأنصار، وكثرة الأعداء والمخلدين والمرجفين، والله أعلم أن هذه مبادئ لهذا الزمان، وقد يأتي زمان أشد من هذا، فالذي يثبت على دينه وجهاده ودعوته فإنه يكون كالقابض على الجمر من شدة ما يلقى من الناس، يحتاج إلى صبر شديد. وقوله: (ممثل ما أنتم عليه): ما عليه الصحابة رض، فالذي يتمسك بالدين، ويثبت على طريقة الرسول صل وأصحابه يكون من الفرقة الناجية، فيصبر على مخالفة الناس، وعلى لومهم وذمهم، بل يصبر على ما يناله منهم في نفسه ويدنه؛ لأنه على الدين والحق). اهـ.

(٣) أي ابن وضاح في كتابه [البدع والنهي عنها برقم ١٨٩] وقال المحقق إسناده ضعيف.

لسفيان^(١): عن النبي ﷺ قال: نعم قال: (إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرتون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله، ولم يظهر فيكم السكريتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش وستتحولون عن ذلك فلا تأمرتون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله وتظهر فيكم السكريتان، فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنّة له أجر خمسين. قيل: منهم؟ قال: لا، بل منكم^(٢))

(١) (قلت لسفيان): القائل هو أسد بن موسى، يسأله هل هذا الذي ترويه حديثاً عن النبي ﷺ؟ قال: نعم.

(٢) قوله: (إنكم اليوم على بينة من ربكم): يعني على علم، فتأمرتون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في الله. ثم قال: (ولم يظهر فيكم السكريتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش): لأن الجهل يأخذ بالعقل، وكذا حب العيش والطمع بالدنيا يأخذ بالعقل. (وستتحولون عن ذلك): أي عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والجهاد في الله.

(وستظهر فيكم السكريتان): أي سكرة الجهل، وسكرة حب العيش. (فالمتمسك يومئذ بالكتاب والسنّة له أجر خمسين): يعني من الصحابة ، وهذا يوافق الحديث السابق، والذي فيه: (للعامل فيهن أجر =

وله^(١) ياسناد عن المعافري قال: قال رسول الله ﷺ: (طوبى للغراياء الذين يُمسكون بكتاب الله حين يُترك، ويعملون بالسنة حين نُطفأ^(٢)).

= خمسين منكم).

وهذا يدل على فضل الغراياء، وفضل العمل في وقت الغرية، وفضل الاستمساك بالدين في زمن الغرية.

(١) أي لابن وضاح في كتابه [البدع والنهي عنها برقم ١١٦٩]، وإسناده ضعيف.

(٢) المعافري هو بكر بن عمرو المعافري من التابعين، فالحديث مرسلاً.

وقوله: (طوبى للغراياء): هذا يوافق الحديث الأول الذي مر معنا. وقد ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ لأن فيه زيادة بيان لمعنى الغرية، ولا شك أن هذه الآثار أو الأحاديث، وإن كان في أسانيدها مقال، إلا أنها مجتمعة تعطي قوة لأصل هذا الحديث، كما أن شواهدها من الكتاب والسنة تدل على أنها تصلح للاستشهاد بها.

وقوله: (الذين يُمسكون بكتاب الله حين يترك، ويعملون بالسنة حين نُطفأ^(٣)): أي أنهم يتمسكون بأنفسهم، ويُمسكون غيرهم بكتاب الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعليم، والدعوة إلى الله، كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِالْكِتَبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ =

= **الصلحىن** (W) (الأعراف: ١٧٠).

فلا شك أن الذي يثبت على الدين عند الفتنة والشروع، وانقلاب الناس
ضدده فهذا يرجى له خير كثير، ولكن هذا نادر فأكثر الناس لا يصبر.
وللحافظ ابن رجب رحمه الله رسالة قيمة في مسألة الغربة بعنوان: [جلاء الكربلة
في حال أهل الغربة].



باب التحذير من البدع^(١)

عن العرياض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بلية وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. قلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا^(٢))

(١) عقد المؤلف بخت الله هذا الباب في آخر الكتاب ليحذر من البدع، لأنها من أعظم أسباب عدم إدراك الإنسان لفضل الإسلام كاملاً، ولأنها من أخطر الأشياء التي تقدح في إسلام العبد ، ولا تجعله ينال فضل الإسلام كاملاً.

وإنما كانت في هذه الخطورة؛ لأن الكفر يخشاه المسلمون ويتقونه غالباً والمعاصي كذلك يوجل منها المسلمون ولو عملوها، وأما البدع فإنها قد تسرى في النفوس، من حيث إنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويتقربون إلى الله غافل بهذه البدع التي يحرموا بها فضل الإسلام، وقد تؤول بهم إلى الخروج من الدين بالكلية - والعياذ بالله - وهم لا يشعرون.

(٢) قوله: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة.... فأوصنا): كان النبي ﷺ يتخلو أصحابه بخت الله بالموعظة فكانت موعظته بلية ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، وقيل أنها كانت بعد صلاة الفجر، ففهموا منها أنها وصية من رسول الله ﷺ، وأن حياته أوشكت على النهاية، فطلبوها منه =

قال : (أوصيكم بتقوى الله تَعَالَى ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد^(١) ،

=الوصية ؛ لأن من عادة الموذع الذي يريد السفر أو الموت أن يوصي أولاده من بعده ، وهذه من عادة الأنبياء – على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والتسليم – أنهم كانوا يوصون ذراريهم .

(١) قال : (أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد) :
قوله : (أوصيكم بتقوى الله) : كلمة جامعة لخصال الخير ، يدخل فيها فعل الواجبات ، وترك المحرمات ؛ لأن هذا هو الذي يقي من عذاب الله .
ومن تقوى الله (السمع والطاعة) لمن ولاه الله تعالى أمر المسلمين وإن كان فاسقاً ، أو ظالماً ، أو فاجراً – ما لم يكن كافراً – وذلك لأنه بالسمع والطاعة لهم اجتماع الكلمة ، وقوية الأمة ، وإقامة الحدود ، وإنصاف المظلوم ، لهذا وجبت طاعتهم في غير معصية الله تَعَالَى . والأعداء يريدون تقويض جماعة الإسلام ، والقضاء على الإسلام ، وذلك لأن الإسلام لا يصلح إلا بجماعة ، والجماعة لا تقوم إلا بولاية ، والولاية لا تقوم إلا بالسمع والطاعة ، والأعداء لا يريدون ذلك حتى يسهل انتقام المسلمين لهم . قوله :
(إن تأمر عليكم عبد) : وفي بعض الروايات : (عبدًا حبشيًا كان رأسه زيبة) فإنه يجب طاعته ؛ لأن ولـي الأمر يُطاع لمنصبه ومكانته ، لا ينظر إلى شخصه وهيئته ، وإنما يُنظر إلى منصبه العظيم الذي يتولاه فطاعته ليس =

وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستي، وسنة
الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدي، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ^(١)،

= لنفعته هو، وإنما لمنفعة المسلمين ومصلحتهم، فهذا من باب الحث
والتأكيد.

(١) قوله : (وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً.... النواجد) : هذا خبر معناه
التحذير، فإن من طالت به الحياة من الصحابة ﷺ فسيرى اختلافاً كثيراً
فهذا في عصر الصحابة فكيف بتطاول الزمن، وما يحصل فيه من الاختلاف
والفرق والأحزاب. لذا كانت وصيته ﷺ لنا عند الاختلاف هي التمسك
بستي وسنة الخلفاء الراشدين فقال : (فعليكم بستي وسنة الخلفاء
الراشدين المهدىين من بعدي عضوا عليها بالنواجد) : المراد بستي ﷺ هي
طريقته، وسنة الخلفاء : طريقتهم لأن عملهم توطيد لسنة الرسول ﷺ
وتثبيت لها.

وهذه الوصية العظيمة توافق قوله تعالى : «فَإِن تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوْهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [النساء: ٥٩].

والخلفاء الراشدون هم الأربع : (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رض)
أجمعين)؛ لأن الخلافة انتهت بعد مضي ثلاثين سنة من وفاة الرسول
صلوات الله عليه وآله وسلامه، فقد أخبر النبي ﷺ أن : (الخلافة ثلاثة ثمانة ثم يكون بعد ذلك =

وليأكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله^(١)

= مُلْكًا إسناده حسن [السنة لابن أبي عاصم: ١١٨١].

فكان أول الملوك في الإسلام معاوية بن أبي سفيان ، وقد كان ملك رحمة كما نص عليه أهل العلم.

- (عضووا عليه بالتواجذ) : النواجد جمع ناجذة وهي الأضراس، فقد شبه الرسول ﷺ الواقع في الفتنة بالواقع في لجة البحر، فهذا لا ينجو من اللجة إلا بحبل يعتصم به، ويمسك به حتى لا يفرق، ومن حرصه على الحبل بعض عليه بنواجهه، فلا يكفي بإمساكه بيديه، بل بعض عليه بأضراسه، وهذا من شدة الخطر، وشدة الحرص على النجاة كذلك أنتم في أيام المحن ليس لكم نجاة إلا حبل السنة تمسكوا به، فإن انطلق فما لكم نجاة.

(١) قوله : (وليأكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلاله) :

إياكم : كلمة تحذير، والمعنى : إياكم من مخالفة سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، فما خالف سنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء فإنه يكون من محدثات الأمور، وحذر منه الرسول ﷺ، وإن كان أصحاب البدع يحسنونها ويقولون : هذا طاعة لله وتقرب إليه، فإنه لا ينفعهم، فلا يجوز التقرب إلى الله تعالى إلا بما شرع.

فالعمل لا يقبل إلا بشرطين :

قال الترمذى : حديث حسن صحيح^(١).

وعن حذيفة رض قال : (كل عبادة لا يتبعها أصحاب محمد ص فلا تعبدوها ، فإن الأول لم يدع للأخر مقاولاً ، فاتقوا الله يا معاشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم) ^(٢) رواه أبو داود ^(٣)

= ١- الإخلاص فما كان فيه شرك فإنه لا يقبل.

٢ - المتابعة فما كان فيه مخالفة فإنه بدعة لا يقبل.

ومعنى المحدثات : المبتدعات المخالفة للسنة.

(فإن كل بدعة ضلاله) : هذا فيه رد على الذين يقسمون البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة ، بأن هذا التقسيم باطل ؛ لأن فيه معاندة للرسول ص الذي قال : (كل بدعة ضلاله).

وقد أورد المؤلف رحمه الله هذا الحديث في هذا الباب (التحذير من البدع) لما اشتمل عليه من التحذير من البدع في قوله : (وليأكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلاله).

(١) حديث صحيح أخرجه الترمذى في [الصحيح سنن الترمذى : ٢٦٧٦].

(٢) الأصل في الاتباع سنة النبي ص ، لكن ما كان أعرف الناس بها هم أصحابه رض ، فهم الذين يروونها ، ويبينونها ، ويعملون بها فإن الأخذ بما يعمله الصحابة رض هو أخذ بسته ص ، لأنهم أقرب الناس إليه =

= ولذلك أثني الله تعالى على أتباعهم بقوله : ﴿ وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ : أي بعلم ومعرفة لهم بهم وستهم ، لا بجهل وغلو وإفراط أو تغريط ، بل بإحسان يتقدون الاقتداء بالصحابة من المهاجرين والأنصار ، ثم قال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَّ لَهُمْ جَنَاحِتٍ تَجْرِي لَهُنَّا الْأَتْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبْدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبه : ١٠٠) ، فالصحابه حُجة إذا عملوا عملاً فهو من سنة الرسول ﷺ ، وأما من جاء بعدهم فإنه يخطئ ويصيب وقد حدث ابن مسعود ﷺ على الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ فقال : (من كان مستنداً فليستن بن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه ، فأعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكون بما استطعتم من أخلاقهم ودينيهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم) (منهاج السنة لابن تيمية : ١٦٦/١).

وقوله : (فاقتوا الله يا معاشر القراء) : يريد العلماء ؛ لأنه في ذلك الوقت القراء هم العلماء ، لأنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا معانيهن ، والعمل بهن ، بخلاف قراء آخر الزمان فهم ليسوا فقهاء ، بل مجرد قراء يقرأون القرآن ويحفظونه مجدداً فحسب.

(٣) لم أقف عليه في [سنن أبي داود].

وقال الدارمي^(١) : أخبرنا الحكم بن المبارك ، أنبأنا عمر بن يحيى قال : سمعت أبي يحدث عن أبيه قال : (كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود رض قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد^(٢) فجاءنا أبو موسى الأشعري رض فقال : أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا : لا ، فجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً فقال له أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفأً أمراً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً ، قال : فما هو ؟ فقال : إن عشت فستراه.

قال : رأيت في المسجد قوماً جلقاً جلوساً يتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى ، فيقول : كبروا مائة ، فيكبرون مائة ، فيقول : هللووا مائة فيهللون مائة ،

(١) في [سنة ٢١٠] بإسناد جيد.

(٢) قوله : (كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود إلى المسجد) : هذا من تقدير السلف لأهل العلم ، كانوا يحرصون على الأخذ منهم ، والمشي معهم ، ومجالستهم ، وقد كان ابن مسعود رض مفتياً ومعلماً وقاضياً وكان أبو موسى الأشعري أميراً على الكوفة آنذاك.

ويقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة ، قال : فماذا قلت لهم ؟ قلت :
ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك ، أو انتظار أمرك ^(١) .

قال : أفلأ أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضيع
من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك
الحلق ، فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا :
يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسييح ، قال :
 يعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ^(٢)

(١) قوله : (فقال : أخرج إليكم أبو عبد الرحمن انتظار أمرك) : أصل
التهليل والتكبير والتسييح مشروع ، لكن جعله على هذه الصفة يتحلقون
حلقاً ، ويتجمعون على الذكر الجماعي ، وعندهم واحد يقول لهم :
سبحوا مائة ، كبروا مائة ... آخر ، وهم يعدون بالحصى . هذه الصورة بدعة
لم يفعلها الرسول ﷺ ، ولا أمر بها ، وكل بدعة تؤول إلى شر ، وقد جاء
في آخر هذه القصة حيث صار هؤلاء مع الخوارج يقاتلون المسلمين ، فآل
بهم الابتداع إلى الخروج على ولادة أمر المسلمين .

(٢) قوله (أفلأ أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم من حسناتكم شيء) : والمعنى أن
هذا العدّ بدعة ، هل تعددت على الله ، والله تعالى لا يكتفى عليه شيء
ولكن أنت عليك أن تعد سيئاتك وتتوب منها ، وأما الحسنات فاعملها =

ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تُبْلَأ، وآنيته لم تُكْسَر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتاحو باب ضلاله^(١)؟...

=ولا تعددها فتقول: أنا سبعة مائة، أو ألف ونحو ذلك؛ لأن هذا من الرياء، ومن البدع؛ لأنه لم يرد في السنة أن الإنسان يخصي عمله أو يخصي حسناته، وإنما الذي ورد هو الذكر المقيد بعدد معين في أدبار الصلوات، وفي أذكار الصباح والمساء، ونحو ذلك، وأما ما جاء مطلقاً فلا يحدد بعدد، والله أعلم.

(١) قوله: (ويحكم يا أمة محمد.... أو مفتاحو باب ضلاله): وذلك لأن ابن مسعود ﷺ توفي عام ٣٢هـ وعامة أصحاب النبي ﷺ موجودون ومنهم عثمان، وعلي، وسعد، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعيد ابن زيد ﷺ، وهؤلاء من العشرة المبشرين بالجنة، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ كابن عباس، وأبي هريرة وجابر بن عبد الله ﷺ جمعياً كانوا متوافرين بين أظهرهم، ومع ذلك فعلوا هذه البدعة دون أن يسألوا لذا أنكر عليهم ابن مسعود ﷺ لعلمه أن هذا ليس من سنة النبي ﷺ ولم يكن عند أبي موسى الأشعري ﷺ علم فتوقف، حتى سأله ابن مسعود ﷺ.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردننا إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيیه^(١). إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأئم الله لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم^(٢). فقال عمرو بن سلامة ﷺ: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج^(٣). هذا آخر ما تيسر.

(١) قوله: (قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردننا إلا الخير...لن يصيیه): يعني أن مجرد النية أو إرادة الخير لا تبرر البدعة، فالبدعة شر، وإن كانت نية صاحبها وقصده حسناً، فهذا لا يبرر البدعة حتى يكون العمل موافقاً للكتاب والسنّة.

(٢) قوله: (إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن....ثم تولى عنهم): ثم ذكر ابن مسعود ﷺ حديث الخوارج الذين يغلون في الدين ويعملون من غير دليل أو فقه، ويقرأون القرآن من غير فهم له، ويجهلدون من عند أنفسهم، وبياناتهم من غير أن يتغفهوا في دين الله. وهذه طريقة الخوارج، فتوقع ﷺ أن هؤلاء الذين في المسجد سيؤولون إلى منهج الخوارج، وصاروا منهم بالفعل، وذلك لأن البدعة تجر إلى الشر.

لذا قال: (وأئم الله لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم)، وهذا يدل على فقهه ﷺ، وقوته في الحق.

(٣) فقال عمرو بن سلامة ﷺ: (رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم

=النهر و ان مع الخوارج) : والنهر و ان : موقعة جرت بين علي ﷺ والخوارج ، ونصر الله أمير المؤمنين عليهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وكانت بالعراق فهو لاء الذين أخذوا بهذه البدعة الصغيرة ، والتي ما أرادوا بها إلا الخير ، والاجتماع على الذكر ، ولكن على غير هدى ، جرّهم ذلك إلى أن يكونوا مع الخوارج ، كما توقع ابن مسعود ﷺ .

وهذا فيه التحذير من البدع من جهات :

الأولى : أن عمل المبتدع لا يقبل ولا يرفع إلى الله عَزَّلَهُ ، لأنها - البدعة - ليست على هدى ، فيكون عمله هذا هباءً مثوراً ، بدليل قوله ﷺ : (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم) ، قوله ابن مسعود ﷺ : (فعدوا سبئاتكم) .

الثانية : أن البدع لا يستهان بها ولو كانت صغيرة ، لأنها قد تؤول ب أصحابها إلى البدع الكبيرة .

ونختم هذا الباب ببيان أسباب نشوء البدعة كما ذكرها الشيخ صالح آل الشيخ - حفظه الله - في معرض شرحه لكتاب «أصول الإيمان» حيث ذكر أن أسباب نشأة البدع :

١ - الجهل : فالبدعة يُنشئها الجهل بالسنة - وإن فالسنة كافية - حيث ينشئ عبادة يتبعدها ، فيصير إلى البدعة لأجل جهله .

٢ - الهوى : وهو من أعظم أسباب حدوث البدع في هذه الأمة =

=فالخوارج والمرجئة والقدرية عندهم أهواه مع الجهل والتأويل.

٣ - إرادة الخير: فيكون عنده جهل مع رغبة في الخير كما فعل هؤلاء أصحاب الحلق، وقد رد ابن مسعود رض على هذه الشبهة - إرادة الخير -

بأنه رد عندما قال: (كم من مريد للخير لن يصييه).

٤ - الغلو: وهو مجازة الحد المأذون به، إما في المسائل العلمية أو العملية فمن جاوز الحد المشروع فإنه لا يؤمن عليه الصيرورة إلى البدعة فهو لاء أصحاب الحلق غالوا في الأذكار إلى أن خرج بهم إلى البدعة. والغلو من أعظم أسباب ترك السنة والأخذ بالبدع.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، وبفضله نال المكرمات
والصلة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه حتى الممات...

أما بعد :

فإنه من فضل الله تعالى ومنتها أن يسرّ لي الوقوف على هذا الكتاب القييم، وسماع شروح العلماء له، وتلخيصها عبر تلك الصفحات السابقة، وهذا جهد المقل، وعمل المخل، فإن أحسنت فمن الله تعالى تفضلاً وكرماً، وإن أساءت فمن نفسي ومن الشيطان وأسأل الله تعالى أن يتتجاوز عنّي بعفوه إنه سميع مجيب.

وحتى تكتمل الفائدة، ويستطيع القارئ الكريم أن يقف على مقاصد الكتاب أَنْهَا هُنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدُ فِي النَّقَاطِ التَّالِيَةِ :

- (١) أن كتاب [فضل الإسلام] كتاب منهجيّ ودعويّ، فهو يبيّن لنا منهج أهل السنة والجماعة في العمل والدعوة.
- (٢) بيان فضل الإسلام باعتبار الزمان والمكان والحال، وفضل الله تعالى علينا بهذا الدين، ووجوب شكره حق الشكر.

(٣) أن الدخول في الإسلام ليس بالاتساب فقط، بل بتحقيق شرائع الدين التي أمر الله بها، سواء في الواجبات والمستحبات أو التي نهى عنها من المحرمات والمكرورات، حتى يكون ممثلاً لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَانُوا أَدْخَلُوا فِي الْسِّلْمِ كَافِةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

(٤) لكي نحقق هذا الدين تحقيقاً كاملاً لا بد أن نتعلم ما هو تفسير الإسلام، وما يتناوله من حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ وما يدخل تحت ذلك من حق المسلمين عامة، وحق ولادة الأمر خاصة، ونحو ذلك مما جاء بيانه في هذا الكتاب.

(٥) بيان أن هذا الدين كامل لا يحتاج إلى أي مذهب، أو دين آخر بل هو مستغن بالكتاب والسنّة عن كل ما سواه.

(٦) التحذير مما يفرق الأمة من الأسماء والشعارات والألقاب التي فتكت بجسم الأمة، ولا تزال حتى ترجع إلى المورد العذب الزلال وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ في العقيدة والعمل.

(٧) التحذير من خطر البدع، وأنها أشد من الكبائر. وحسبك

دليلاً على خطورتها نهاية السوء التي يؤول إليها المبتدع دنيا
وآخرة، من ذلك:
أ) أن عمله مردود.

ب) أن التوبية محجوبة عنه ما برح مقیماً على بدعته.
ج) لا يرد الحوض يوم القيمة.

د) أن عليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيمة.

ه) أن صاحب كل بدعة ملعون لقوله ﷺ: (من أحدث فيها
حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...).
و) أن صاحب كل بدعة لا يزداد من الله إلا بعداً، لحديث:
(يمرقون من الدين ثم لا يعودون).

(٨) أن الثبات على هذا الدين حتى الممات أعظم ما يجب الصبر
عليه، والاستعانة بالله على تحقيق ذلك، ولا يكون فضل
الإسلام كاملاً إلا من كان على ذلك.

(٩) ضرورة تعلم التوحيد وما يضاده من أنواع الشرك، وأنواع
الردة، ونواقض الإسلام؛ حتى لا يقع فيها المسلم وهو غافل
ويصير في الآخرة مع الخاسرين وهو لا يعلم - عياذاً بالله -.

(١٠) التحذير من دعاء الضلاله، وعدم الاغترار بالكثرة فإن الحق

يُعرف بالاتباع وليس بالكثرة.

(١١) الحذر من الأمان من مكر الله تعالى، فالمؤمن الفطن هو الذي ينزل

جميع هذه النصوص على نفسه فيكون دائمًا متيقظاً ومشمراً من

الوقوع في البدع والمعاصي، حتى لا يقع فيما وقع فيه الغافلون.

(١٢) الحرص على التمسك بهذا الدين شريعة وعقيدة في زمن

الغرية هذا، والدعوة إليه، لما جاء في فضل العمل في زمن

الغرية، وفضل الغرباء.

هذا وأسائل الله العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعلنا

من المتمسكون بكتابه، وسنة نبيه ﷺ، والذابين عن هذا الدين،

وأن يسقينا من حوض نبيه ﷺ شرية هنية لا نظمأ بعدها أبداً، وأن

يرزقنا الثبات على الدين حتى الممات هو ولني ذلك القادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبته

حنان بنت علي بن محمد اليماني

وفرغت منه في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة

لعام خمسة وعشرين وأربعين ألفاً من الهجرة النبوية

فهرس المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومحاجبة الفرق المذمومة . - الشیخ الإمام أبو عبد الله عبید الله بن محمد بن بطة العکبیری الحنبلی . - تحقیق: رضا بن نعسان معطی . - الطبعۃ الأولى ١٤٠٩ھـ . - ١٩٨٨ مـ . دار الرایة . - الریاض .
- (٣) الأحادیث المختارة . - الإمام ضیاء الدین أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسی . - تحقیق: أ.د. عبد الملک بن عبد الله بن دھیش . - الطبعۃ الرابعة ١٤٢١ھـ . - ٢٠٠١ مـ . دار خضر . - بیروت . - لبنان .
- (٤) إرواء الغلیل في تخربح أحادیث منار السبیل . - الشیخ محمد ناصر الدین الألبانی . - الطبعۃ الثانية ١٤٠٥ھـ . - ١٩٨٥ مـ . المکتب الإسلامی . - بیروت . - لبنان .
- (٥) الاستذکار . - الإمام الحافظ أبو عمر یوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسی . - تحقیق: د. عبد المعطی أمین قلعجی . - الطبعۃ الأولى ١٤١٤ھـ . - ١٩٩٣ مـ . مؤسسة الرسالۃ . - دمشق . - بیروت .
- (٦) الاستیعاب في بيان الأسباب . - سلیم بن عید الہلائی ، و محمد بن موسی آل نصر . - الطبعۃ الأولى ١٤٢٥ھـ . - دار ابن الجوزی . - المملكة العربية السعودية .
- (٧) الإسرائیلیات والمواضیعات في کتب التفسیر . - د. محمد بن محمد أبو شهبة . - الطبعۃ الرابعة ١٤٠٨ھـ . - مکتبة السنۃ . - القاهرة .

- (٨) إغاثة للهفان من مصايد الشيطان - الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - تحقيق: محمد حامد الفقي - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٩) اقتضاء الصراط المستقيم لخالفة أصحاب الجحيم - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - مكتبة الرشد - الرياض.
- (١٠) البدع والنهي عنها - الإمام الحافظ محمد بن وضاح القرطبي - تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- (١١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية - شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية - تحقيق: د. يحيى بن محمد البهيدى - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م - مكتبة الرشد - الرياض.
- (١٢) تحكيم القوانين - العلامة المحدث محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ - الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ.
- (١٣) تفسير الطبرى - الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (١٤) تفسير القرآن العظيم - الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى - الطبعة السادسة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م - دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- (١٥) التفسير القيم - الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية - جمعه: محمد أweis الندوى - حققه: محمد حامد الفقي - الطبعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - دار الفكر - بيروت - لبنان.

- (١٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد . الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي - تحقيق: أ. مصطفى بن أحمد العلوى، وأ. محمد عبد الكبير البكري. ط. د. مكتبة ابن تيمية - المركز الإسلامي - القاهرة.
- (١٧) التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد . الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار التوحيد - الرياض.
- (١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثان . الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: محمد زهري النجار - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٤هـ.
- (١٩) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم . الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الدمشقي ، الشهير بابن رجب - تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، وإبراهيم باجس - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (٢٠) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول . الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - مكتبة الرشد - الرياض.
- (٢١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني - ط. د. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٢٢) الذيل على النهاية في غريب الحديث والأثر . أبو عبد الله عبد السلام بن محمد عمر علوش - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - دار ابن حزم - بيروت - لبنان.

- (٢٣) الزهد - الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني - تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- (٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني - الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.
- (٢٥) السنة - الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني - ومعه ظلال الجنة في تخریج السنة - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.
- (٢٦) سنن أبي داود - الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - ومعه كتاب معالم السنن للخطابي - إعداد: عزت عبيد الدعايس، وعادل السيد - الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م - دار الحديث بيروت - لبنان.
- (٢٧) سنن الترمذى [الجامع الصحيح] - الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى - تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٢٨) سنن الدارمى - الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى - تحقيق: فواز أحمد زمرلى ، وخالد السبع العلمي - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار الريان - القاهرة.
- (٢٩) سير أعلام النبلاء - الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - مؤسسة الرسالة - بيروت.

- (٣٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي - تحقيق: د. أحمد سعد حمدان - ط. د - دار طيبة - الرياض.
- (٣١) شرح السنة - الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش - الطبعة الأولى ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان.
- (٣٢) شرح صحيح مسلم - الإمام يحيى بن شرف النووي - ضبط النص: محمد فؤاد عبد الباقي - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٣٣) الشريعة - الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين الأجري - تحقيق: د. عبد الله ابن عمر الدميжи - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م - دار الوطن - الرياض.
- (٣٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقیدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه - الشيخ أحمد بن حجر آل بن علي - أمر بطبعه جلاله الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود - الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - مطبعة الحكومة بـمكة.
- (٣٥) صحيح البخاري - الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - ضبطه ورقمه: د. مصطفى أديب البُغا - الطبعة الخامسة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - دار ابن كثير - دمشق - بيروت.
- (٣٦) صحيح الترغيب والترهيب - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م - مكتبة المعارف - الرياض.
- (٣٧) صحيح سنن ابن ماجة - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م - المكتب الإسلامي - بيروت.

- (٣٨) صحيح سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٣٩) صحيح سنن الترمذى - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٤٠) صحيح مسلم - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري -
وقف على طبعه: محمد فؤاد عبد الباقي - ط. د. دار الكتب العلمية - بيروت -
لبنان.
- (٤١) ضعيف سنن أبي داود - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٤٢) ضعيف سنن الترمذى - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق.
- (٤٣) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن قيم الجوزية - ط. د. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٤٤) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب - محمد حامد الناصر - الطبعة
الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - مكتبة الكوثر - الرياض.
- (٤٥) العقلانيون أفراخ المعتزلة - علي بن حسن عبد الحميد الحلبي - الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - مكتبة الغرباء الأثيرة - المدينة المنورة.
- (٤٦) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب - الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني
- ضبطه وصححه: الشيخ محمد بن عبد العزيز الخالدي - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ
٢٠٠٢م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

- (٤٧) الغربيين في القرآن والحديث . العلامة أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي صاحب الأزهري - تحقيق دراسة : أحمد فريد المزيدي . الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ . ١٩٩٩ م - مكتبة نزار مصطفى الباز . المملكة العربية السعودية . مكة المكرمة . الرياض .
- (٤٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري . الحافظ أحمد بن علي بن حجر العقلاني - رقم كتبه وأبوابه : محمد فؤاد عبد الباقي . قام بإخراجه : محب الدين الخطيب . ط. د. دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- (٤٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير . الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني - ط. د. دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- (٥٠) فضائل الصحابة . الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . حققه وخرج أحاديثه : د. وصي الله بن محمد عباس . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م - دار العلم . المملكة العربية السعودية .
- (٥١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب . قسم الحديث . عبد العزيز بن زيد الرومي وأخرون . ط. د. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض .
- (٥٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وساعدته ابنه محمد . طبعته وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بأمر من الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . المملكة العربية السعودية .
- (٥٣) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه . أ. مسعود الندوبي . ترجمة وتعليق : عبد العليم عبد العظيم البستوي . مراجعة وتقديم : د. محمد تقى

- الدين الهلالي - ط. د ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (٥٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل - شارك في التحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرون - الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٠ م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- (٥٥) مسند الدارمي المعروف ب [سنن الدارمي] - الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي - تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م - دار المغنى - الرياض.
- (٥٦) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير - إعداد: جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م - دار السلام - الرياض.
- (٥٧) المصنف في الأحاديث والآثار - الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م - دار الناج - بيروت - لبنان.
- (٥٨) مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية - د. فرج علي الفقيه حسين - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م - دار قتبة - بيروت - لبنان.
- (٥٩) منهاج السنة النبوية - شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - ط. د - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- (٦٠) ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - دراسة وتحقيق: علي محمد معوض وأخرون - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٦١) نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ - إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن ملوح - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م - دار الوسيلة - جلة.

(٦٢) النهاية في غريب الحديث والأثر - الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وحمود محمد الطناحي - ط. د. دار الباذ - عباس أحمد الباذ - مكة المكرمة.

المسموعات:

- (١) شرح كتاب فضل الإسلام - للشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
- (٢) شرح كتاب فضل الإسلام - للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ [ولم يُكمل].
- (٣) شرح كتاب فضل الإسلام - للدكتور عبد العزيز السعيد.
- (٤) شرح كتاب فضل الإسلام - للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل.

فهرس محتوى الكتاب

الصفحة	المحتوى
٥	• تقرير.
٧	• مقدمة.
١٣	• ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب <small>رحمه الله</small>
١٨	• تعريف بالكتاب.
٢١	• باب فضل الإسلام
٥١	• باب وجوب الإسلام.
٧٨	• باب تفسير الإسلام
٨٩	• باب قول الله تعالى: «وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ».
٩٦	• باب وجوب الاستغناء بمتابعته - يعني القرآن.
١٠٨	• باب ما جاء في التزوج عن دعوى الإسلام.
١٣٠	• باب وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه.
١٤٥	• باب ما جاء أن البدعة أشد من الكبائر.
١٥٥	• باب ما جاء أن الله احتجز التوبة على صاحب البدعة.
١٥٩	• باب قول الله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجُورُوكُنْ فِي إِنْرِهِمْ».
١٦٧	• باب قول الله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُّا».
٥٠٦	• باب ما جاء في غرية الإسلام وفضل الغرباء.
٢٢٢	• باب التحذير من البدع.

الصفحة

المحتوى

٢٣٤	✿ الخاتمة
٢٣٩	✿ فهرس المصادر والمراجع
٢٤٩	✿ فهرس محتوى الكتاب

تم بحثه

